

أرسين لوبيث

البرنس أرسين لوبيث



مغامرات "أرسين لوبين"

● نو الشخصية الفذة في اقتحام عالم الجريمة وكشف مرتكبيها وتقديمهم للعدالة، وصاحب المغامرات المثيرة المعروف لملايين القراء في جميع أنحاء العالم، والذي ذاعت شهرته حتى تفوقت على كل الشخصيات البوليسية التي تصور الجريمة وتحللها وتكشف عن مرتكبيها.

هذا البطل (أرسين لوبين) يتميز بالنبل والشرف والشهامة فهو لا يهدف من مغامراته إلى الثراء وكسب المال أو للثأر والانتقام من خصومه، وإنما يكرس حياته للكشف عن الجريمة وتعقب الجناة وتقديمهم للعدالة.

إنه اللص الشريف الذي يمتلئ قلبه بالحب والخير للناس. وخاصة البائسين والفقراء حيث كان يخصص بعطفه وإحسانه ويتبرع بكل ما يحصل عليه من الأثرياء البخلاء واللصوص الجشعين للجمعيات الخيرية ومؤسسات البر والإحسان.

وقد تحدى هذا البطل (أرسين لوبين) رجال الشرطة وكبار المفتشين الخصوصيين في عصره في أوروبا وأمريكا حتى أطلق عليه لقب الرجل ذي الألف وجه وهيئة حيث كان يجيد التنكر ويظهر في شخصيات متعددة.

ثمن النسخة

CanadA	5\$	ج ٣	مصر	٧٥٠ف	الكويت	٢٠٠٠ل	لبنان
U.K	1.5	د ١٠	المغرب	١٠ د	الإمارات	٧٥ ل	سوريا
France	15F.F	د ١	ليبيا	١ د	البحرين	١ د	الأردن
Greece	1200Drs.	د ١٠٥	تونس	١٠ ر	قطر	٥٠	العراق
CYPRUS	1.5 P.	ر ٧٥	اليمن	١ د	مسقط	٦ ر	السعودية

برنارد الأسطه

يقدم

الرواية المعرّية

البرنس أرسين لويين

(١٨)

رواية بوليسية طريفة بطلها اللص الظريف "أرسين لويين"

هــووييس لبلان

الناشر

دار ميوزيك

للصحافة والطباعة والنشر والتوزيع ش ٠م٠م٠

ص.ب ٣٧٤ جونية - لبنان

جميع الحقوق محفوظة للناشر

يمنع منعاً باتاً نقل أي جزء أو قسم من هذا الكتاب

وبأية وسيلة إلا بعد الحصول علي موافقة خطية من الناشر .

جريمة البرج

فتحت " هورتنس دانييل " نافذتها . ونادت بصوت خافت :

" روسيني " ... اين انت ؟؟

فاجابها صوت رقيق منبعث من بين الاشجار الضخمة المتعانقة
المحيطة بالقصر : - هانذا .

- فانحنى " هورتنس " الى الامام وارسلت بصرها بين الاشجار
فراحت رجلا قصير القامة . بدينا قد استند إلى جذع
شجرة ورفع إليها وجهها سميئا به لحية شقراء .
- سالها الرجل :

- ماوراك ؟؟ فاجابت :

- لقد قام جدل عنيف بيني وبين عمي وزوجته ليلة امس .
واصر الاثنان على عدم توقيع الصك الذي وضعه مسجل العقود .
والذي يتضمن نزولهما عن البائنة (الدوطة) ، التي تركها لي والذي
عند وفاته .

- وهل نسي عمك فضلا عن ذلك انه الذي اختارك ذلك الزوج
الذي بليت به وانه المسؤول عن ..
فقاطعت " هورتنس " :

- مهما يكن من امر فإنه يصر على الرفض .

- وإن ؟؟

فسالته ضاحكة :

- اما زلت مصمما على اختطافي والهرب بي ؟؟

- إن تصميمي اوطد مما كان قبلا ... وانت تعلمين انني
مجنون بك ..

- ولكنني للاسف الشديد لست مجنونة بك .

- انا لا اطالبك بان تجني شغفا بي ... كل ما ارجوه هو ان
تحبيني قليلا .

- احبك قليلا ؟؟ إنك تطلب الكثير .

- اطلب الكثير؟! إذن لماذا وقع اختيارك علي دون سواي؟
- ذلك ما قضت به المصادفات البحتة . فإنك جئت في وقت اشعر
فيه بأشد أنواع الملالة والسام ... ولما كنت شغوفة بالمغامرات
والمفاجآت فقد فكرت في ان اجازف بالفرار معك .. طمعا في ان اتذوق
طمعا جديدا للحياة خذ ..إليك حقائبي .
والقت إلى روسيني " بحقيبتين من الجلد فتلقفهما بيديه .
غمغمت قائلة :

- هانذا اترك مصيري بين يديك ... والآن عليك ان تنتظرنني
بسيارتك عند رصيف (إيف) وسألتحق بك بجوادي .
- يا الله .. ولكنني لا أستطيع اختطاف جوادك .
- كن مطمئنا فالجواد يعرف كيف يعود وحده إلى القصر .
- هذا حسن ... وبهذه المناسبة ..
- ماذا ؟!

- من هو ذلك البرنس " رينين " ... الذي يقيم في القصر منذ ثلاثة
أيام . والذي لا يعرف احد حقيقة أمره ؟!
- لا أعلم .. فقد قابله عمي في حفلة صيد عند بعض اصحابه .
فدعاه إلى زيارتنا وقضاء بقية فصل الصيد في املاكه .
- يخيل إلى انه وقع من نفسك موقعا حسنا .. وانك تجدين لذة
في التحدث إليه ومعاشرته فإنك خرجت معه امس في نزهة
طويلة .. ولكني اصارحك القول بان هذا الرجل لا يعجبني .. ولا
تطمئن إليه نفسي .

- بعد ساعتين نكون قد ابتعدنا عن هذه المنطقة .. ومتى افتضح
الامر ... وعلم البرنس "سيرج رينين " انني هربت معك .. فلاشك ان
عاطفته نحوي سيدركها الفتور .

إننا اطلنا الحديث يا صاحبي .. والوقت ضيق ... لايسمح لنا
بالتبذير فيه . وظلت في نافلتها ترقب " روسيني " وهو يبتعد
بين الأشجار والحقيبتان توشكان ان تقصما ظهره .. وما زالت
تشيعه حتى غاب عن بصرها بين الأشجار . وعندئذ اغلقت
نافلتها ..

وفي تلك اللحظة دوى في الغضاء صوت نغير اعقبه في الحال
نباح عدد كبير من الكلاب .

تلك لأنه كان من المقرر في ذلك الصباح افتتاح موسم الصيد
والقنص في الغابات المحيطة بقصر (لاماريز) الذي يملكه الكونت
(ويلروش) .. وكان الكونت وزوجته الكونتس قد دعوا بهذه
المناسبة طائفة من الأصدقاء لقضاء موسم الصيد عندهما كما جرت
عادة النبلاء .

سمعت " هورتنس " صوت النغير ونباح الكلاب ، فاشفقت أن
تفاجأ قبل أن تفر ، وأسرعت إلى المرأة فرتبت شعرها وإلى ملابس
الركوب فارتدتها . ثم جلست أمام مكتبها . وشرعت تكتب رسالة
وداع إلى عمها الكونت " ديلروش " .
ولكن كان عزيزا عليها أن تكتب هذه الرسالة . ولم يسعها
ذهنها بما يجب أن تقوله . وأخيرا عدلت عن فكرة الكتابة وقالت
تحدث نفسها :

- ساكتب إليه فيما بعد ، حين ينفث غضبه ويصفح عن
فعلتي التي سوف تصيب كبريائه في الصميم .
ونهبتي تنهادى بقامتها الرشيقة حتى بلغت قاعة الطعام
الفسيحة . وهناك وجدت أن عمها وضيوفه قد بكروا في النهوض
استعدادا للصيد قبل بزوغ الفجر . وداروا جميعا بالمائدة لتناول
طعام الفطور .

ورات " هورتنس " عمها .. وهو رجل كبير الجسم كامثاله من
أصحاب الأملاك في الأقاليم .. ويبيده كاس مليئة بالشراب وهتفت
بعد أن قبلت جبهته :

- ماذا تفعل يا عمي ؟ اتقبل على الشراب قبل مطلع الشمس . فهز
الكونت كتفيه وقال :

- ألا يخرج الإنسان عن المألوف مرة واحدة في العام ؟ ...

- ولكن الكونتس سوف تناقشك الحساب .

إن الكونتس مصابة بصداع .. ولن تبرح غرفتها هذا الصباح .
ثم استترد بعد لحظة بلهجة جافة :

- وبعد ... فهذا ليس من شأن الكونتس . ولا هو من شأنك كذلك
يا صغيرتي .

* * *

وفي هذه اللحظة ... اقترب البرنس "رينين" من "هورتنس" . كان
البرنس شابا في مقتبل العمر على جانب كبير من الرشاقة
والأناقة . ممتنع الوجه قليلا .. ولكن هذا الامتناع كان يكسب
تقاطيعه شيئا من النبل . أما نظراته فكانت تنم عن مزيج من
الدعة والقسوة .. وكان يتألق في عينيه بين الغينة والغينة
وميض الدهاء والتهكم .

* * *

أحنى البرنس قامته أمام "هورتنس" وقبل يدها في احترام .
وقال لها :

- هل تسمحين لي بأن أذكرك بوعدك يا سيدتي العزيزة ؟؟
- وعدي !!

- نعم . فقد تم الاتفاق بيننا على أن نقوم اليوم بالرحلة التي
قمنا بها أمس... وأن نזור تلك القصر العتيق المغلق الذي أثار
أمره فضولنا والذي يسميه القوم (قصر هالينجر) .
فاجابت في شيء من الخشونة :

- إنني شديدة الأسف ياسيدي . لأن هذه الرحلة التي
تقترحها طويلة وأنا متعبة قليلا .. ولذلك سأكتفي بنزهة قصيرة
حول القصر ثم أعود . وساد الصمت بينهما لحظة ... ثم ابتسم
البرنس "سيرينين" وقال بصوت لا يسمعه سواها :
- أنا واثق أنك ستبرين بوعدك . وإنني ساكون زميلك في هذه
الرحلة ... وذلك أفضل .

- أفضل بالنسبة إلى من ؟ إليك بالتأكيد . اليس كذلك ؟

- بلى . وبالنسبة إليك أيضا ... أنا واثق من ذلك .

فصعدت إلى وجهها حمرة طفيفة واجابت :

- لست أفهمك ياسيدي .

- المسألة واضحة لا غموض فيها ولا لبس . فالطريق إلى قصر

"هالينجر" بديع .. والقصر يثير فضولا . ولا توجد نزهة اخرى
تجمع بين هاتين الصفتين .

- انت لا تنقصك البراعة في الإغراء ياسيدي .

- ولا الإصرار يا سيدتي .. سانتظرك عند قصر "هالينجر" .

فظهرت على وجهها علامات الضجر والملالة . ولكنها لم تجب .. بل
حولت إليه ظهرها وخرجت ..

* * *

وكانت قد اصدرت امرها بإعداد جوادها . فوجدت أحد الخدم في
الخارج ممسكا بالجواد فامطته وسارت به نحو الغابة التي
تترامى وراء الحديقة . كان الجو ضحوا جميلا .. والسماء صافية
فارتاحت "هورتنس" إلى هذه النزهة في تلك الساعة المبكرة ..
وما زالت تجد بجوادها حتى وصلت إلى رصيف (إيف) بعد
نصف الساعة تقريبا . وهناك جذبت عنان جوادها .. وارهفت
السمع ولكنها لم تسمع اية حركة أو صوت .

تساءلت .. ترى أين ذهب "روسيني" ؟

وخطر لها أنه ربما أخفى سيارته بين الأشجار وأوقف محركها
حتى لا يلفت إليه أحد ..

أجالت الطرف حولها .. ورات مكان السيارة .. فترجلت عن ظهر
جوادها .. وبعد تردد قصير .. شدت عنان الجواد إلى إحدى
الأشجار في غير عناية بحيث يتسنى للجواد في اية لحظة أن
يتخلص وأن يعود إلى القصر .

وبعد لثا استأنفت السير على قدميها حتى اقتربت من مكان
السيارة وهنا برز لها "روسيني" .. وأسرع نحوها وتباطأ
ساعدها وهو يقول :

- اسرعي .. اسرعي .. لقد داخلني القلق من غيابك وخشيت
أن تكوني قد عدلت عن رأيك .. يا الله . أيمن هذا ؟؟ إنني لا أكاد
أصدق عيني . فابتسمت وقالت :

- يخيل إلي أنك سعيد ..

- إنني أسعد مخلوق في هذا العالم يا "هورتنس" .. وسوف

تكونين سعيدة كذلك .. ثقي ان حياتك ستكون بعد الآن حلما
ممتعا لانهاية له .. وإنني سأوفر لك أسباب كل النعمة والرفاهية .
- لا اريد نعمة .. او رفاهية .

- ماذا تريدان إذن ؟

- السعادة ..

- انا اكلل لك سعادتك .

ووصلا عندئذ إلى حيث كانت السيارة . فادار "روسيني"
المحرك . ووثبت "هورتنس" إلى الداخل .. وما هي إلا لحظة حتى
كانت السيارة تنهب بهما الأرض نهبا ..

على ان السيارة لم تكد تصل إلى نهاية رصيف (إيف) حتى
دوى طلق ناري من الغابة الواقعة على يمين الطريق فاهتزت
السيارة .. ومالت إلى الجانب الأيسر .. واضطر "روسيني" ان
يوقفها في الحال . ووثب إلى الأرض والقى على السيارة نظرة
سريعة ثم قال :

- لقد انفجر إطار إحدى العجلات . فصاحت "هورتنس" :

- كلا .. لقد أطلق بعضهم النار على السيارة .

- هذا مستحيل يا عزيزتي ..

وفي هذه اللحظة .. دوى من جوف الغابة طلقان ناربان
آخران . فضرب "روسيني" الأرض بقدمه وقال وهو يضع إصبعه
في الثقب الذي أحففته الرصاصة :

- هذا صحيح .. ويل للشقي .. إذا وضعت يدي على عنقه
.. ولكن ما العمل الآن ؟؟

ووقف بالقرب من السيارة .. وأرسل بصره على طول الطريق ..
ولكنه لم يرا احدا يستطيع ان يلتمس منه المعونة .

قال :

- سنقضي في هذا المكان ساعة على الأقل حتى يتسنى لنا
إصلاح هذا العطب .. فما قولك في ذلك أيتها العزيزة ؟ فوثبت "
هورتنس" من السيارة . وأسرعت نحوه وهي تقول :
- سأنهب .

- لماذا اولى اين ؟..

- اريدان اعرف .. لقد اطلق الرصاص على سيارتنا فيجب ان اعرف الفاعل .. بل ارجو ان تبقي معي .. يجب الانفترق يا هورتنس ..

- وهل تعتقد انني استطيع الصبر ساعتين او ثلاثاً حتى تفرغ من إصلاح العطب ؟؟

- ولكن ... مشروعا !! خططنا ؟

- نستطيع ان نتحدث في هذا غدا .. اما الآن فساعود إلى القصر. واعد حقيبتتي ثم ألحق بالضيوف الذين انطلقوا للصيد .. لابد انهم المتفذكوك .. ويحثوا عنك .

- "هورتنس" .. انت تعلمين ان الذنب فيما حدث ليس ننبى وان .. فقاطعه :

- انا لا اقول ان الذنب ننبك .. ولكن الرجل الذي يريد ان يخطف إحدى النساء ويهرب بها إلى حيث لا يراها احد .. يجب الا يترك صاحبه على قارعة الطريق بضع ساعات . لا شيء إلا لأنه نسي إعداد عجلة إضافية للطوارئ .

إلى اللقاء يا عزيزي .. وعانت ادراجها في الطريق التي قطعتها السيارة .. وكان من حسن حظها ان وجدت جوانها حيث تركته . فامتطته . وانطلقت به في طريق مقابل لقصر (لامارين) :
لم يكن عندها شك في ان الذي اطلق الرصاص على السيارة فعملها هو البرنس "سيرج رينين" .

غمغمت تقول في غضب :

- إنه هو .. ولا احد سواه .

واشتد بها الغضب لخذلانها .. حتى تفجرت الدموع من عينيها الساحرتين .. ولو كان البرنس "رينين" امامها في تلك اللحظة لما ترددت في ان تنهال عليه ضربا بسوطها .

كانت نائمة عليه اشد النعمة .. ليس فقط لهذه الفعلة الاخيرة وإنما كذلك لسلوكه حيالها في الايام الثلاثة الاخيرة . فقد كانت تشعر رغم ادبه الجم .. انه يحاول اجتذابها إليه بمزيج من

اللطف والقسوة .. ويحاول إخضاعها له بإذلالها .. وتحطيم إرادتها .

* * *

ووصلت " هورتنس " أخيرا إلى الوادي البديع الذي يطلق عليه القوم في تلك المنطقة اسم (سويسرا الصغيرة) ..
ولاح لها في نهاية الوادي ذلك القصر العتيق المعروف باسم قصر " هالينجر " ..

لكزت جوادها .. فراح ينهب بها الأرض ولم تنقض بضع دقائق حتى أشرفت على سور القصر .. فسارت في محاذاته .. وما ان اجتازت بضعة أمتار .. حتى وقع بصرها أمام باب القصر على البرنس " سيرج رينين " . وكان واقفا بجانب جواده .. كأنه ينتظرها .. فلما ترجلت عن ظهر جوادها .. اقترب منها في الحال وقبعتها في يده . وأحنى قامته أمامها باحترام شديد .. وشرع يشكرها لبرها بوعدها .. وإسراعها لمقابلته في الموعد . ولكنها قاطعته بأن صاحت به :

- صبرا يا سيدي .. لي قبل كل شيء كلمة أريد أن أقولها ..
لقد وقع منذ وقت قصير حادث لم أستطع تفسيره . لقد أطلقت رصاصة على سيارة كنت أتنزه بها فهل أنت الذي أطلقت هذه الرصاصة ؟؟

- نعم

- فظهرت عليها علامات الدهشة الشديدة .

- إذن أنت تعترف !!

- إنك طرحت علي سؤالاً يا سيدي . فاجبت عنه .

- ولكن كيف وجدت الجراة على إطلاق الرصاص على السيارة .

وبأي حق ؟؟ - إنني لا أزمع أن لي حقا .. ولكني أبيت واجبا .

- أبيت واجبا ؟ ماذا تعني ؟

- نعم .. إنني لم افعل غير ما حتمه علي الواجب . ففهمت بحمايتك من رجل أراد أن يستثمر الحالة النفسية التي تعانيها .. وأن ينتهز فرصة الحياة التعمسة التي تحيينها ..

فقاطعته بلهجة خشنة :

- سيدي .. إنني أحظر عليك التحدث في هذا .. فإن لي مطلق الحرية في أن أفعل ما أريد .. وقد ذهبت مع هذا الرجل بإرادتي ولم أكن .. فقاطعها بدوره قائلا : - سيدتي .. إنني سمعت بطريق المصادفة ذلك الحديث العجيب الذي دار بينك وبين مسيو " روسيني " صباح اليوم .. وادركت في الحال أنك لست شديدة الارتياح إلى الفرار مع هذا الرجل .. وأنا أشعر بأن الخطة التي وضعتها وانفذتها لإحباط مشروع " روسيني " تنطوي على شيء كثير من الغلظة .. وفساد الذوق .. وأنا اعتذر عن ذلك بكل تواضع وخضوع .. ولكنني أريد مهما كلفني الأمر .. أن أمنحك فسحة من الوقت لإعادة التفكير .. قبل أن تقطعي في مصيرك برأي حاسم .

- إنني فكرت في الأمر مليا ياسيدي .. ومتى حزمت رأيي على أمر فإنني لا أرجع قط عما اعتزمت .

- بل إنك ترجعين في بعض الأحيان ياسيديتي .. والدليل على ذلك وجودك هنا الآن .. فعضت " هورتنس " شفرتها .. ولكن هذا الحديث كان قد خفف من حدتها .. وحدة غضبها .. فراحت تنظر إلى " زين " وفي عينيها تلك الدهشة التي يشعر بها الإنسان حين يجد نفسه أمام أشخاص غير عاديين .. قادرين على أكثر مما يستطيع الغير .. فعالين للخير .. لا يصدرون فيما يبرمون عن أنانية أو منفعة شخصية .

اعترفت في الحال بينها وبين نفسها بأنه لم يصدر فيما فعل إلا عن حسن نية وإلا - كما قال - قياما بواجب الرجل الشهم الكريم حيال المرأة التي توشك أن تتعثر .. قال لها في لطف وهدوء : - إنني لا أعرف عنك إلا القليل جدا ياسيديتي .. ولكن هذا القليل فيه الكفاية لأن يحملني على الاهتمام بأمرك .. إنني أعرف عنك يا سيدتي أنك الآن في السادسة والعشرين من عمرك .. وأنك فقدت أبويك وأنت في سن الطفولة .. وأنك اقترنت منذ سبعة أعوام بأحد أقرباء الكونتس " ديلروش " امرأة عمك .. ولكن زوجك كان شابا غريب الأطوار ضعيف القوى العقلية .. مما دعا أخيرا إلى

وضعه في أحد مستشفيات الأمراض النفسية . وبذلك استحال عليك الحصول على الطلاق . ولما كان عمك قد بدد (الدوطة) البائنة التي تركها لك أبوك فإنك اضطررت إلى أن تعيشي مع عمك وزوجته . غير أن الحياة في قصر (لاماريز) كثيبة حزينة تدخل السام والملالة على نفس صبية مثلك ممثلة فتوة ورغبة في أن ترى وتسمع . وتتحرك . وزاد الطين بلة أن عمك الكونت وزوجته في شقاق دائم . وأعرف كذلك من أمر عمك هذا . أن زوجته الأولى هجرته . وفرت مع عشيقها . وكان هذا العشيق هو الزوج الأول للكونتس . وقد جمعت الكلبة المشتركة بين عمك الذي هجرته زوجته والكونتس التي هجرها زوجها . وتوهم الاثنان أنهما يستطيعان أن يحبلا شقاعهما سعادة إذا تزوجا . وقد تم الزواج بينهما فعلا . ولكنهما لم ينالا في الحياة الزوجية السعادة التي يبتغيانها . وكانت النتيجة أن ساد القصر جو حزين كليب . مضطرب . ليس من شأنه أن يرضي حسناء عصرية مثلك فاصبحت تتوقين إلى أي تغيير ولو من سيئ إلى أسوأ وفي أحد الأيام قابلك "روسيني" . وشغف بك . وعرض عليك أن تهربي معه . وأنت لا تحبينه . ولكنك تشعرين بأن شبابك يوشك أن يذهب هباء . وأنت فضلا عن ذلك شغوفة بالمفاجآت . وتريدين حياة حافلة . نشطة صفوة القول . أنك قبلت آخر الأمر أن تهربي معه ولكنك كنت تضرمين له الغدر . وفي نيتك ألا تنليه منك منالا . وأن تفلتي من قبضته في أول فرصة . وكان لك من وراء هذه الخطة غرض آخر هو أن تحدثي بفرارك فضيحة تزعج عمك وترغمه على النزول على إرادتك فيرد إليك ما اكل من أموالك . ويوقف عليك مرتبا شهريا يمكنك من أن تعيشي مستقلة عنه . هذا كل ما أعرفه عنك ياسيديتي العزيزة . والآن أمامك أن تختاري بين أن تضعي نفسك بين يدي مسيو "روسيني" وبين أن تعهدي إلي بامرك .

* * *

سمعت "هورتنس" هذا الحديث الواضح الجلي دون أن تنطق بكلمة واحدة ، فلما فرغ البرنس "رينين" من كلامه ، رفعت إليه

عينها والقت عليه نظرة تساؤل . ترى ماذا يريد هذا الرجل ؟
ولماذا يطلب إليها بتلك اللهجة الجريئة الرزينة أن تعهد إليه
بامرأها وتتخذة حاميا لها ونصيرا ؟ هل طلب إليها ذلك بدافع من
الرغبة البحتة في فعل الخير ؟

* * *

ترك لها البرنس "رينين" أن تفكر . وعمد إلى الجوابين فشد عنان
أحدهما إلى عنان الآخر . ثم وقف أمام باب القصر وراح يتأمله
عن كثب . كان الباب مصنوعا من الخشب السميك المثين وقد
سمر جانباه بقطعة من الخشب على شكل صليب والصق تحت
هذا الصليب منشور انتخابي يرجع عهده إلى عشرين سنة
مضت . وكان وجود هذا المنشور على حاله دون أن يناله أي
تمزيق . دليلا على أن أحدا لم يفتح باب القصر منذ الصق هذا
المنشور - أي منذ عشرين سنة على الأقل .

أخرج البرنس "رينين" من جيبه خنجرا مزق به المنشور الانتخابي
وكشف بذلك عن قفل الباب .

ثم أخذ من جيبه أداة أخرى . انتزع بها الصليب الخشبي الذي
سمر على شطري الباب . وشرع بعد ذلك يعالج القفل بمهارة ولباقة .
وما هي إلا دقيقة واحدة حتى فتح باب القصر .. ورأى "رينين"
وصاحبته أمامهما أرضا فسيحة جذباء ينهض وراءها قصر عتيق
ذو أربعة أبراج . تحول "رينين" إلى "هورتس" وقال لها :

- ليس هناك ما يدعو إلى العجلة . وسيكون في وسعك في
مساء اليوم أن تحزمي امرك . وتتخذني قوارك . وإذا حاول مسيو
"روسيني" مرة أخرى أن يقنّعك ووفق في ذلك ، فإنني أقسم
بشرفي ألا أقف في طريقك بعد ذلك أبدا . أما الآن .. فإنك معي ..
وأرجو أن تلقني إلي بالك .. وأن ننفذ ما اتفقنا عليه أمس . كما لو
لم يكن قد حدث شيء .

إننا قررنا أمس أن نזור هذا القصر . فهلمي بنا نزوره . ففي مثل
هذه الزيارة تسلية وترفيه وقطع للوقت .. وأنا واثق أن الملائة لن
تجد سبيلها إلى نفسك . كان يتكلم بلهجة تحمل على الطاعة .

وكان أسلوبه وصوته يجمعان بين الأمر والرجاء فلم تحاول هورتنس رفضا . وشعرت برغبة غامضة في مرافقة هذا الرجل الغامض إلى حيث يريد الذهاب بها . دخل القصر فتبعته دون أن تنطق بكلمة ، وصعدت معه سلما حجريا متهدما وقابلهما باب موحد كذلك بقطعة من الخشب على شكل صليب ، فنزعها البرنس "رينين" وفتح الباب بالطريقة التي فتح بها باب السور الخارجي ودخل وتبعته "هورتنس" ، فوجدا نفسيهما في صالة فسيحة . بهابعض قطع من الأثاث قد تراكم عليها الغبار وخيم فوقها العنكبوت .

وسار البرنس "رينين" إلى ستار من القطيفة الزرقاء . قد نقش عليه شعار يمثل نسرا قابعا فوق صخرة قال "رينين" : هذا بغير شك شعار الأسرة التي تملك هذا القصر . وحرك الستار فوجد خلفه بابا .
قال :

- لا بد أن هذا باب غرفة الاستقبال . وقد وجد "رينين" شيئا من الصعوبة في فتح هذا الباب بالطريقة التي اتبعها مع البابين السابقين . واضطر أخرا الأمر إلى أن يلجأ إلى قوته الجسمية .. فأسند كتفيه إلى الباب ودفعه دفعة قوية ففتح في الحال .

ولم تكن "هورتنس" حتى هذه اللحظة قد نطقت بكلمة واحدة ولكنها راحت ترقب زميلها في فضول شديد .. ولم تتمالك نفسها من الشعور بالدهشة للمهارة العظيمة التي كان يمارس بها فتح الأبواب . وقد أدرك "رينين" شعورها ، فقال .

- ليس أسهل علي من معالجة الأقفال . فقد كنت في حدائتي شغوفاً بهذه الصناعة الدقيقة ، ولكنها أمسكت بساعده فجأة وغمغمت :

- الاتسمع !!

- ماذا ؟ ؟

وارهف أذنيه وما لبث أن قال :

هذا في الحق غريب .

فهمت "هورتنس" وهي في أشد حالات الدهشة والذهول :

- اصغ .. اصغ .. اليس هذا عجيبا ؟

والواقع .. انهما سمعا صوتا منبععا من مكان قريب وكان الصوت منتظما ، فارتقا في الحال انه صوت ساعة بقاءة .

ادهشهما ان يسمعا في ذلك السكون الشامل هذا الصوت الوحيد الذي بقي حيا في ذلك القصر المهجور .

ولكن باية معجزة ظلت هذه الساعة تتحرك طيلة هذه الاعوام؟ غمغت "هورتنس" وفي صوتها رنة جزع وذعر :

- هل هذا ممكن ؟ كيف تواصل الساعة عملها وجميع الشواهد تدل على ان احدا لم يدخل القصر منذ عشرين سنة .

- نعم .. كيف تواصل الساعة عملها ؟؟

- إذن ؟

فلم يجب البرنس "سيرج رينين" ، بل عمد إلى النوافذ الثلاث ففتحها ، وسمح للضوء والهواء بان ينفذا إلى الغرفة . كانت الغرفة حقا هي غرفة الاستقبال ، وكل شيء فيها في موضعه . وليس ثمة اي اثر لاضطراب او فوضى في الاثاث كان اصحاب القصر قد تركوه فجأة دون ان يحرك احدهم شيئا من موضعه . بل ولم تنقل الكتب التي كانوا يقرعونها في قاعة الاستقبال من اماكنها .

اقبل البرنس "رينين" على الساعة العتيقة يفحصها . ففتح دواليبها الخشبية الصغير . ورأى البندول يتحرك .. قال :

- هذا عجيب فهذه الساعة من النوع الذي يعمل باستمرار مدة اسبوع قبل ان يملأ زنبركها فكيف حدث أنها ظلت تعمل عشرين سنة . وقلب حاجبيه في دهشة حقيقية ولكنه لم يقنط من معرفة السر . وفجأة . لاحظ لأول مرة وجود شيء في قاع صندوق البندول . فتناوله وفحصه . وازدانت دهشته . قال :

- هذا منظر مثير .. فلماذا جيء به هنا ؟ . ثم إن حالته تدل على ان شخصا اعده ليرى به شيئا معينا .. ثم قذف به إلى جوف هذا الصندوق دون ان يعيده إلى حالته الطبيعية .. اي دون

ان يغير طول انبوبتي المنظار . وفي هذه اللحظة بقت الساعة خمس دقائق .. فتبادل "رينين" وهورتنس نظرة عجب ودهشة . ولم يجد البرنس "رينين" في الحال ما يميظ اللثام عن سر هذه الساعة العجيبة ولكنه لم يقنط . ولم يستول عليه الياس وقصد لتوه إلى باب في احد اركان الغرفة فنفذ منه .. ووجد نفسه في قاعة صغيرة .. تدل جميع الشواهد على ان اهل الدار جعلوا منها غرفة للتدخين . فقد رأى بقايا الحافات المتخ في صفحات معدنية علاها الصدا . على ان ما لفت نظره اكثر من اي شيء اخر . وجود صندوق من النوع الذي يستعمل في حمل البنادق . موضوعا فوق طاولة في غرفة التدخين . وكان هذا الصندوق خاليا من بندقيته . ورأى "رينين" على الجدار تقويما قد نزعته اوراقه حتى يوم ٥ سبتمبر . وكانت "هورتنس" قد تبعته إلى غرفة التدخين . فلم يكذب يقع بصرها على هذا التاريخ حتى هتفت في دهشة :

- ما اعجب هذا ! نحن اليوم في ٥ سبتمبر وقد نزع اصحاب هذا القصر اوراق التقويم حتى يوم ٥ سبتمبر .. اي منذ عشرين سنة بالضبط . فغمغم "رينين" : - نعم .. هذا عجيب . ومعناه ان اصحاب هذا القصر قد اقاموا فيه حتى يوم ٥ سبتمبر منذ عشرين سنة تماما . ثم هجروه فجأة ولم يعد احدهم إليه .
- اعترف معي ان هذه المصادفات جميعا لا تخلو من الغرابة .
- هذا صحيح . ومع ذلك ..

- ماذا ؟ هل خطر لك خاطر ؟ ! فاجاب بعد تفكير قليل :
- إن ما يدهشني اكثر من سواه هو وجود هذا المنظار الكبير في صندوق الساعة .. بحالة تدل على انه اخفي في الصندوق في اللحظة الاخيرة

ولكن فيم كان يستخدم هذا المنظار ؟ إن الإنسان لا يرى من خلال هذه النوافذ سوى اشجار الحديقة وجدار السور الذي يحيط بها .

والإنسان لكي يستخدم هذا المنظار يتعين عليه ان يصعد إلى

ارتفاع عظيم . فهل ثمة ما يمنعك من الصعود معي إلى برج القصر ؟
لم تتردد " هورتنس " . فقد اثارت فضولها تلك الملاحظات التي
أبداهما البرنس "رينين" وشعرت برغبة شديدة في التغلغل معه إلى
أعماق السراي الذي يحيط بهذا القصر العتيق . فتبعته دون تردد .
وصعد الاثنان السلم الأساسي حتى إذا بلغا الطابق الثاني .
قصدا السلم الحلزوني الموصل إلى قمة البرج . صعدا ذلك السلم
على مهل حتى بلغا نهايته . وانتهيا إلى شبه (كشك) علوي
صغير ذي جدار يبلغ ارتفاعه مترين .

نظرت "هورتنس" إلى البرنس "رينين" في خبث وقالت :
- هانتذا ترى انه لم يكن في الاستطاعة استخدام المنظار المكبر
من هنا كذلك فجدار هذا (الكشك) أعلى من قامة الإنسان والمنظار
المكبر يمكن أن يكون قد استخدم للإشراف من هذا البرج على
المنطقة المجاورة :

اجاب البرنس "رينين" :

- إنني أرى غير هذا الرأي واعتقد انه لابد من وجود منفذ من هنا
إلى الخلاء . وراى فجأة على جدار البرج من الداخل قطعة من الحديد
أشبه بمطرقة الباب .. فمد إليها يده وحركها . فتحركت وكشفت
عن ثقب . فهتف البرنس "رينين" وفي عينيه نظرة فوز وظفر :
- انظري .. من هذا الثقب يستطيع الإنسان أن يطل منه على
المنطقة المجاورة . ووضع المنظار في الثقب فلم يسع "هورتنس" إلا
الاعتراف بان ذلك الثقب قد صنع خصيصا لهذا المنظار والواقع
أن الثقب كان يتسع تماما للمنظار بحيث لم يكن في الإمكان تحريك
المنظار يمينا أو شمالا .

وارسل البرنس "رينين" بصره من خلال المنظار دون أن يحرك
مداه أو يغير من طول أنبوبتيه .. وراح يفحص المنطقة المحيطة
بالقصر ليرأى الأدغال والأشجار المحيطة بالقصر على مرمى البصر .
ورأى لأول مرة بقايا برج عتيق لقصر تخرب منذ عشرات الأعوام
وكان هذا البرج يقع على بعد سبعمائة متر تقريبا من المكان الذي
وقف فيه "رينين" وصاحبته .

كان يحدث نفسه وهو يفحص محوطات القصر بقوله :
- ترى ماذا كان يتأمل صاحب هذا المنظار ؟؟ إنني لا أرى سوى
الأشجار الباسقة المتعانقة .. وغير الحقول المنبسطة وهذا البرج
الخراب .. إن هذا البرج هو في الواقع الشيء الوحيد الذي يلفت
النظر . وسدد طرف المنظار نحو بقايا البرج . وأمعن النظر بدقة
وظل دقيقة أو دقيقتين ساكنا صامتا جامدا الحركة ثم نهض
أخيرا واقفا . وغغم :

- هذا مخيف . هذا في الحق مخيف . فسألته في قلق :

ماذا ؟ !

- انظري .

وأعاد المنظار إلى الثقب . فركعت " هورتنس " على ركبتيها وأطلت
منه على البرج العتيق . ولكنها لم تره في وضوح وجلاء واضطر
البرنس : " رينين " إلى أن يغير مدى المنظار ، ويطيل انبوبيته لكي
تتمكن من رؤية المنظر الذي وصفه بأنه مخيف وما لبثت
هورتنس " أن رأت شيئا رابها فغمغت :

- إنني أرى ثوبين . فهتف بها :

- بل انظري بإمعان . تأملي القبعتين والوجهين اللذين تحتهما .
فأمعنت " هورتنس " النظر . وتبينت ما أراها " رينين " أن تقبينه
وسرت في جسمها رعدة شديدة .

هتفت :

- يا الله .. هذا مزعج . هذا مخيف . تبينت بواسطة المنظار
مخلوقين أحدهما يرتدي ثياب الرجال والآخر يرتدي ثياب النساء
وقد انكفا على وجهيهما فوق الصخور .

قالت في جزع :

- إنهما هيكلان عظيمان .. هيكلان عظيمان يرتديان ثياب الرجال
والنساء . ولكن ترى من الذي نقلهما إلى هذا البرج ؟؟

- لا أحد

- إذن كيف ..

فقاطعها بقوله

- إن هذا الرجل وهذه المرأة قد ماتا منذ سنوات في اثناء وجودهما في البرج ، وظلا في مكانهما حتى اكلت الغريبان لحومهما . ولم يفتضح امر هاتين الجثتين لسبب ما ، كان تكون زيارة هذا البرج محظورة على غير اصحابه .. او يكون برج السلم المؤدي إلى البرج قد تهدم . فتهفت " هورتنس " وهي ممتقعة الوجه مرتجفة الاوصال :

- ولكن هذا مخيف .. هذا مخيف .

وبعد نصف الساعة تقريبا . برحت " هورتنس دانييل " وسيرج رينين " قصر (هالينجر) وقصدا لتوهما إلى حيث يوجد البرج الذي اكتشفا فيه الهيكلين العظميين .. فالغياة اطلاقا .. ووجدا أن من الخطر محاولة الصعود إليه .. وقد اندمش " هورتنس " ان " رينين " لم يتحدث بعدئذ عن هذين الهيكلين كما لو كان امرهما لايهمه ولايعنيه .

وعندما دلفا إلى احد المطاعم في الطريق لتناول الطعام . لم يحاول " رينين " كذلك أن يسأل صاحب المطعم عن تلك القصر وعن سر إهماله وإغلاقه . اما " هورتنس " فإنها لم تستطع ضبط شعورها والتغلب على فضولها . فراحت تلقي على صاحب المطعم عشرات الاسئلة ولكن الرجل اكد لها أنه انشأ المطعم في تلك البقعة حديثا ، وأنه لايعرف اسم صاحب القصر والأماكن المحيطة به .. ولايعرف شيئا عن اسباب إغلاق القصر وإهماله .

وعاد الاثنان إلى قصر (لامارينز) . وظلت هورتنس " طول الوقت تذكر تلك المنظر البشع المخيف الذي شهداه في البرج وتلقي على " رينين " السؤال تلو السؤال ولكنه لم يجيبها بما يشبع فضولها فتملكها الضجر .

وصاحت :

- الا تنوي التفكير في الامر .. لابد من الوصول إلى ...

فاجابها :

- نعم لابد من الوصول إلى حل فيما يختص بمسيو روسيني.

فهزت كتفيها وقالت :

- بل إنني يهمني أمر الهيكلين العظميين أكثر مما يهمني أمر روسيني.

- وروسيني؟؟؟

- إنه يستطيع الانتظار .. اما انا فلا أستطيع .

- على رسلك إذن .. وبعد فمن المحتمل الا يكون "روسيني"

قد فرغ حتى الساعة من إصلاح إطار سيارته .

ولكن ماذا في نيتك أن تقولي له متى تقابلتما ؟ ذلك هو المهم .

- بل هناك ما هو اهم من ذلك . هناك الهيكلان العظميان اللذان

اكتشفناهما اليوم .. هناك السر الغامض الذي يكتنف هذين

الهيكلين فماذا في نيتك أنت أن تفعل ؟

- ماذا في نيتي ؟

- نعم هل تنوي إخطار ذوي الشأن بامر الجثتين؟

فاغرق "رينين" في الضحك وصاح :

- ولماذا ؟

- لكي يضطلعوا بحل هذا اللغز المعقد . فربما كشفوا عن جريمة

او ماساة . - نحن لسنا في حاجة إلى معونة احد لإمطة اللثام

عن سر الجثتين .

- ماذا تقول ؟؟ هل فهمت شيئا ؟

- بل فهمت كل شيء . كما لو كنت قد قرأت قصة طريفة مزينة

بالصور .

فمرمته من ركن عينها كأنها تشعر بأنه يهزأ بها . لكنها

لاحظت من تقاطيع وجهه أنه جاد فيما يقول :

هتفت في فضول :

- وإذن ؟

وكانا وقتئذ قد اشرفا على قصر (لاماريز) فقال البرنس

"رينين" :

- لم يبق إلا أن نقوم ببعض التحريات ، وإن نسال بعض
الذين يعرفون هذا الإقليم حق المعرفة ، فهل تعرفين شخصا
نستطيع الاطمئنان إلى معلوماته؟!

- ولماذا لانسال عمي ، إنه لم يبرح هذا الإقليم منذ نعومة
أظفاره .

• - هذا صحيح .. ساستفسر من الكونت "ديلروش" وسترين
كيف تتبلج الحقيقة وترتبط الحوادث والمشاهدات .

* * *

وقد افترقا عند القصر فقصت "مورتنس" إلى غرفتها وهناك
وجدت حبيبته ورسالة غاضبة من "روسيني" يودعها فيها ويعلنها
برحيله .

قرأت الرسالة وهزت كتفها وغمغت :

- لقد أحسن صنعا .

وتناست مغامرتها معه . وفرارها برفقته وأصبحت لا تذكر إلا أن
البرنس "رينين" ذلك الرجل الغامض الغريب الأطوار قد أوقفها
على حافة لغز معقد .. وتركها نهبة فضول لن يقر لها قرار
حتى تشبعه .

* * *

لحق بها "رينين" في غرفتها بعد قليل وقال لها :

- إن عمك في مكتبه .. فهل تذهبين معي إليه ؟! إنني أخطرتك
بقدومي فنهضت لساعاتها .. وانطلقت في رفقته . قال لها وهما
يسيران جنبا إلى جنب:

- لي كلمة أريد أن أقولها .. عندما افسدت عليك مشروع الهروب
في صباح اليوم قطعت على نفسي حيالك عهدا وسترين بعد
لحظة أنني وفي بالعهد . - إنك لم تعني بأكثر من شيء واحد ..
هو أن تشبع فضولي إلى المغامرات والمفاجآت .
- سيكون لك كل ما تريدين .

* * *

وجد الكونت "ديلروش" وحيدا في غرفته وأمامه زجاجة من

الشراب . وقد ملاكاسا قدمها إلى البرنس "رينين" فاعتذر هذا عن قبولها . قال الكونت محدثا "هورتنس" :

- وانت يا "هورتنس" ألا تتناولين كاسا من هذا الشراب ؟ إنك تعلمين انني لا اسرف في الشراب إلا في الايام الأولى من شهر سبتمبر .. وإلا في هذا اليوم بصفة خاصة . بمناسبة افتتاح موسم الصيد والقنص .. ولكن حديثي .. هل كانت نزهتك مع البرنس "رينين" ممتعة ؟ فقال "رينين" :

- إننا جئنا الآن بصدد امر يتصل بهذه النزهة ونود ان نحدثك فيه .

- أرجو المexcuse .. لأنني مضطر إلى الذهاب إلى المحطة بعد عشر دقائق لاستقبال إحدى صديقات زوجتي .

- عشر دقائق فيها الكفاية وأكثر من الكفاية .

- إذا كان ذلك فلامانع .

واشعل الخافعة تبغ واستطرد :

- حسنا تحدث بما تريد . فقال البرنس "رينين" وهو يشعل بدوره الخافعة تبغ :- لقد سألنا المصادفات اليوم إلى قصر لاشك انك تعرفه حق المعرفة .. واعني به قصر "هالينجر" .

نعم - أني اعرف هذا القصر . ولكنه مغلق منذ ربع قرن على ما اذكر

ومما لاشك فيه انكما لم تستطيعا دخوله .

- بل استطعنا ..

- إذا صح ذلك فلا بد ان الزيارة كانت مسلية .

- كانت مسلية جدا .. وقد وقفنا على اشياء غريبة . فسأل الكونت

وهو ينظر إلى ساعته :

- اشياء غريبة ؟ ماذا تعني ؟

وهنا راح البرنس "رينين" يسرد عليه تفاصيل الزيارة . فقال :

- إننا دخلنا القصر وذهبنا إلى غرفة استقبال لولا نسيج العنكبوت لظننا ان اصحابها تركوها في التو واللحظة . وما كدنا ندخل هذه الغرفة حتى بقت ساعة بالجدار خمس دقائق ..

فقاطعه الكونت :

- إنك تسهب في ذكر التفاصيل .

- إنك لم تلق بعد على كل شيء يا سيدي الكونت ..

فإننا بعد أن تركنا غرفة الاستقبال قصدنا في التو إلى برج القصر
ومن هناك رأينا جثتين . أو على الأصح . رأينا هيكلين عظميين في
برج متهدم يقع ضمن حدود القصر . وقد عرفنا من الثياب التي
كان صاحبها الهيكلين يرتديانها عندما قتلا أن أحدهما رجل
والآخر امرأة .

فنهتف الكونت :

- قتلا ؟؟ وماذا يحملك على الاعتقاد بأنهما قتلا ؟! مجرد الظن ..

اليس كذلك ؟!

- بل أنا واثق أنهما قتلا ولهذا جئت أسالك عن تفاصيل هذه
المأساة التي أرجح أنها اشتهرت في عهد حدوثها .. أي منذ عشرين
سنة تقريبا .

فنهتف الكونت :

- أنا لم أسمع قط عن جريمة قتل أو حادث اختفاء يجوز أن
تكون له صلة بالمأساة التي تذكرها . فقال "رينين" بلهجة الشخص
الذي يشعر بخيبة الأمل :

- وإسفاه .. كنت أرجو أن أقف منك على شيء من التفاصيل .

- في هذه الحالة أرجو المعذرة .. سأنطلق الآن إلى المحطة
لاستقبال صديقة زوجتي .

والقى على "هورتنس" نظرة فاحصة . ثم قصد إلى الباب . لكنه
توقف في الحال حين سمع صوت "رينين" وهو يقول له :

- اليس في استطاعتك يا سيدي أن تدلني على شخص من
أسرتكم يستطيع إمدادي بالمزيد من المعلومات والإيضاحات ؟

- شخص من أسرتي !! لماذا ؟

- لأن قصر (هالينجر) كان في ذلك العهد ملكا لأسرة (نيلروش)
فالشعار الذي وجدناه على الستائر وقطع الأثاث يمثل نسرا قابعا
فوق صخرة . وهو شعار أسرة "نيلروش" . وهناك ظهرت على وجه

الكونت علامات الدهشة وعاد إلى حيث كان "رينين" جالسا في
ارتياح وهتف :

- ماذا تقول ؟ إنني كنت أجهل هذا . فهز "رينين" رأسه وقال
وهو يبتسم :

- أنا واثق ياسيدي أنك لا تريد أن تعترف في سهولة بوجود صلة
قاربة ولو بعيدة بينك وبين صاحب قصر "هالينجر" .

- هل تعني بذلك أنه رجل جدير بأن يتبرأ منه ذوه ؟؟

- إنه ارتكب جريمة قتل ياسيدي .

- ماذا تقول ؟؟

وظهرت على وجه الكونت علامات الاضطراب والانزعاج .
فنهضت "هورتنس" بدورها واقفة بدافع الفضول والانفعال . وقالت
تحدث "رينين" :

- هل أنت واثق حقا من أن في الأمر جريمة قتل . وأن شخصا من
اهل القصر قد ارتكب هذه الجريمة ؟

- إنني واثق تمام الثقة .

- هل لديك من الأسباب ما يحملك على هذا الاعتقاد ؟

- أنا واثق مما أقول .. لأنني أعرف الرجل والمرأة اللذين قتلا ..

وأعرف أسباب قتلهما .

وكان البرنس يتكلم بلهجة رزينة فاخذ الكونت "ديلروش"
يسير في الغرفة جيئة وذهابا . وهو مطرق برأسه ويده
معقودتان خلف ظهره . ثم قال أخيرا :

- لقد كنت دائما أشعر بأن أمرا غير عادي قد حدث في هذا القصر ..

ولكنني لم أحاول قط معرفة ما حدث . والواقع .. أن أحد أقربائي كان

يقم في هذا القصر منذ عشرين سنة تقريبا . فإذا كنت واثقا مما

تقوله ياسيدي البرنس . فإنني أرجو حرصا على سمعة الأسرة

وكرامتها - أن يبقى في طي الكتمان أمر هذه الجريمة التي كنت

أرتاب في وقوعها دون أن أعلم علم اليقين بأنها وقعت .

- وإن أنت تقرر أن قريبك هذا قد ارتكب جريمة قتل ؟؟

- إذا كان قد ارتكبها ، فأكبر الظن أنه فعل ذلك مرغما .

فهو "رينين" راسه وقال :

- يؤسفني ان اضطر إلى تصحيح هذه العبارة يا سيدي العزيز ،
إذ الواقع ان قريبك ارتكب الجريمة في ظروف واحوال تدل على
الذالة . بل إنني لم اقع قط على جريمة دبرت ببرود ورباطة
جاش كما دبر قريبك جريمته .
- وكيف علمت ذلك ؟؟

وهكذا جاء الوقت الذي يتعين فيه على البرنس "رينين" ان يتكلم
وان يلصح بما عنده فنظرت إليه "هورتنس" في فضول وراحت
ترقب شفثيه في انتظار كل كلمة ينطق بها . قال "رينين" :
- إن جميع الشواهد تدل على ان قريبك هذا كان متزوجا ..
وكان يقيم على مقربة من قصره زوجان اخران فتوثقت او اصر
الصدقة بين الاسرتين ولا اعلم على وجه التحقيق ماذا حدث بين
الاسرتين ، ولا من هو الشخص الذي جلب الشقاء عليهما .. ولكن
هناك ما يحملني على الاعتقاد بان زوجة قريبك قابلت .. او كانت
تقابل الزوج الآخر - اعني زوج جارتها وصديقتها - في البرج
المتهدم الذي ارتكبت فيه الجريمة . وقد علم قريبك بخيانة زوجته
فصمم على الانتقام . ولكن بطريقة لا تثير فضيحة ، ولا تلوث اسم
العائلة وسمعتها . وبحيث لا يعلم احد ان الزوجة الخائنة وعشيقتها
قد قتلا . تذكر قريبك ان بالقصر برجا ، يشرف على البرج الذي
اعتادت الزوجة الخائنة وصاحبها ان يجتمعا فيه ، فحدث في
جدار برج قصر (هالينجر) ثغرة حجبها بمطرقة باب قديم ، وراح
ينتزه الفرصة لمراقبة العاشقين من خلال هذه الثغرة بواسطة منظار
مكبر .

واخيرا قرر الزوج المهين ان يضرب الضربة القاضية ففي يوم ه
سبتمبر منذ عشرين سنة . حانت له الفرصة المناسبة إذ كان القصر
يوميذ خلوا من الخدم وكان العاشقان يتناجيان في البرج المتهدم .
فصوب إليهما بنقيته وأرداهما قتيلين . وهنا كف البرنس "رينين"
عن الكلام فساد صمت عميق بدده الكونت اخيرا بقوله :
- هذا صحيح . هذا ما وقع تماما ولاسبيل إلى نكرانه وبهذه

الطريقة انتقم قريبي من زوجته الخالدة .

استطرد "رينين" :

- وبعد ان انفذ القاتل خطته .. حجب الثقب بواسطة المطرقة . ولم يبق عليه بعد ذلك إلا ان يبرر اختفاء زوجته ، ولم يكن اسهل عليه من ان يزعم بانها هربت مع عشيقها .

وهنا مرت بجسد " هورتنس " فشعيرة شديدة . حيث تبلجت لها الحقيقة .. وادركت الغاية التي يذهب إليها " رينين " هتفت :

- ماذا تقول :

فاجاب " رينين " :

- اقول ان قريب الكونت بعد ان قتل زوجته . راح يتهمها بانها فرت مع عشيقها . فصاحت " هورتنس " :

- كلا . كلا . لقد قال لك عمي ان صاحب القصر كان احد اقربائه

فلماذا تخط بين الحوادث ؟

- انني لا اخط بين الحوادث ياسيديتي إذ الواقع انه لم تكن ثمة حوادث ، بل هناك حادث واحد وقد سربت تفاصيل هذا الحادث كما وقع .

فتحولت "هورتنس" إلى عمها ولكن الكونت لزم الصمت .

وسالت نفسها : لماذا لايتكلم ؟ لماذا لايجتج ؟ الا يرى دقة مركزه ؟ الا يشعر بان التهمة التي يوجهها إليه البرنس "رينين" صريحة لانه الوحيد الذي فرت زوجته بون أعضاء أسرة "ديلروش" جميعا ؟

استطرد "رينين" قائلا :

- نعم لم يكن هناك سوى حادث واحد . ففي الساعة الخامسة من مساء يوم ٥ سبتمبر منذ عشرين سنة اغلق صاحب قصر (هالينجر) ابواب قصره وانطلق بدعوى البحث عن زوجته وعشيقها . هجر القصر وترك كل شيء فيه على حاله . ولم يحمل معه سوى البندقية التي ارتكب بها جريمته ، ولكنه تنكر في اللحظة الأخيرة ذلك المنظار المكبر ، واشفق ان يؤدي العثور عليه إلى اكتشاف الجريمة ، فالقى به في صندوق الساعة المثبتة بالجدار ، فاقف

المنظار بندول الساعة .

ولما حاولت اليوم فتح باب غرفة الاستقبال عنوة ، أحدث ارتطامي
بالباب هزة عنيفة ، فسقط المنظار من مكانه حيث كان عالقا
بالبندول ، واستأنفت الساعة عملها ، ودقت خمس دقائق ، فأعلنت بذلك
الوقت بالضبط الذي فر فيه القاتل من القصر .
فصاحت " هورتنس " :

- والآلة ، إنني أطالبك بتقديم الأدلة . فاجاب " رينين " بلهجة
جادة :

- اتريدين الأدلة ؟؟ إنها كثيرة ، من ذا الذي يستطيع قتل غريميه
على بعد سبعمائة متر غير شخص شغوف بالصيد والقنص ويجيد
إصابة الهدف ، ليس كذلك يا سيدي الكونت ؟ هل تريدين دليلا
آخر ؟ لماذا ابقى صاحب القصر كل شيء على حاله ، فلم يحمل معه
غير بندقيته ؟؟ ولماذا جعل القاتل يوم ٥ سبتمبر من كل عام موعدا
 لافتتاح موسم الصيد في ادغاله وغاباته ، وراح يسرف في هذا
اليوم دون غيره من ايام السنة في تناول الشراب وغيره ؟؟ إنه فعل
ذلك لينسى الجريمة التي يترأى له شبحها ، ويمتلىء بها ذهنه في
مثل هذا اليوم من كل سنة . اتطلبين المزيد من الآلة ياسيديتي ؟ ها
هو ذا الدليل الحي .. وأشار بأصبعه إلى الكونت " ديلروش " كان
الكونت ممتقع اللون ، خائر العزيمة . لايجسر على أن يرفع عينيه إلى
وجه الرجل الذي راح ينبش الماضي بتلك المهارة العجيبة .
واطرقت " هورتنس " براسها .

لم تشعر نحو عمها بشفقة لا لأنها لم تكن تحبه .. بل لأنه كان
لديها من الأسباب ما يحملها على مقته وكراهيته . وساد الصمت
لحظة . وفجأة نهض الكونت واقفا ، واقترب من " رينين " وقال له :
- سواء كان ما تذكره هو الحقيقة أم لم يكن ، فإنك لا تستطيع أن
تصف الزوج الذي ينتقم لشرفه بأنه قاتل . فاجاب البرنس
رينين :

- صبرا ياسيدي الكونت . إنني لم أسرد هذه القصة إلا بصفة
تمهيدية ، ولكن هناك صيغة أخرى للقصة اقرب إلى الحقيقة

والواقع مما ذكرت .

- ماذا تعني ؟

- اعني أن الزوج لم ينتقم لشرفه كما زعمت أولا ، بل هناك مجال للافتراض بأنه كان رجلا مفلسا ، وقد أراد أن يسطو على أموال صديقه كما سطا على عرضه ، فقرر أن يخلص من زوجته ومن صديقه في وقت واحد ، وبذلك يخلو له الجو ، فيقترن بزوجة صديقه ويستمتع بأمواله . ولذلك أغرى زوجته وصديقه على زيارة البرج المتهم ، ثم قتلها برصاص بنديقه ، واقتن بالارملة .
فصاح الكونت :

- كلا . كلا . هذا كذب .

- إن في استطاعتي أن اقيم الأدلة على صدق ما أقول . والسبيل المنطقي الأول . هو أن القاتل لا يمكن أن يشعر بالندم ووخذ الضمير إذا كان قد عاقب المذنب بقتله .

- إن الإنسان يشعر بالندم إذا ارتكب جريمة قتل مهما كان الدافع إلى الجريمة .

- وهل يدفع الندم القاتل إلى الاقتران بارملة ضحيته ؟ إن لنا أن نتساءل هل كان الكونت مفلسا والارملة غنية حين تم زواجهما ؟ ولنا كذلك أن نتساءل ، هل كانت هناك علاقة ائيمة بين القاتل والارملة دفعتهما إلى قتل الزوج لكي يخلو لهما الجو ؟

نعم إن هناك عشرات من الأسئلة لاتهمنا في الوقت الحاضر ، ولكن رجال العدالة يستطيعون معرفة الجواب عليها إذا أرادوا فترنج الكونت

" ديلروش " في مكانه ، وغمغم :

- هل ستخطر رجال العدالة ؟

- كلا .. كلا .. إن وخذ الضمير عشرين سنة والشقاء العائلي ، والجحيم الذي يعيش فيه القاتل . كل ذلك في اعتقادي عقوبة كافية . ولعل من أشد العقوبات وأهولها ، أن يضطر القاتل الآن وقد افترض أمره ، أن يفرز إلى الهيكلين العظميين فيحملهما بين يديه تحت جناح الظلام ويواريهما التراب ، قبل أن يقع عليهما

شخص آخر لا يقدر ظروفه فيسوقه إلى أيدي العدالة . فتنهّد الكونت وغمغم :

- إذن ، لماذا ...

- إذن لماذا اهتممت بالأمر ؟؟ لابد أن تشعر بانني أرمي من هذا الاهتمام إلى غرض ، ولكن لا تجزع ياسيدي الكونت إنني لن اطالبك بما يعجزك . وهنا تنفس الكونت الصعداء ، وشعر بان النضال انتهى ، ولم يبق عليه إلا أن يضحى ببعض ماله ، فيستر جريمته بشراء سكوت البرنس "رينين" . وساله في شيء من التهكم :

- كم تطلب ؟؟

فضحك "رينين" وقال :

- يسرني أنك فهمت الموقف على حقيقته ، فقط يجب أن تعلم بانك تخطيء إذا اعتقدت أنني أسعى لغرض شخصي . فدهش الكونت وسال :

- إذن ؟

- كل ما اطالبك به .. هو أن تعطي صاحب الحق حقه ..
- لا أفهم ما تعني . فأنحنى "رينين" إلى الامام . وقال بلهجة حاسمة : - توجد في أحد أراج هذا المكتب وثيقة ينقصها توقيعك . وهذه الوثيقة خاصة بجزء من املاكك يراد تحويله إلى ابنة أخيك " هورتنس دانيل " ... وقيمة هذه الاملاك تعادل المبالغ التي تركها أبوها لها . فبددتها أنت . وكل ما يريد منك الآن هو أن تضع اسمك على هذه الوثيقة ... فرفع الكونت رأسه بحدة .. وبدت عليه علامات التمرد .. وسال :

- هل تعرف قيمة الاملاك التي يراد مني النزول عنها ؟

- لا أريد أن أعرف .

- وإذا رفضت .

- إذا رفضت فإنني اطلب في الحال مقابلة الكونتس "نيلروش" فهي قد يههما أن تعرف مصير زوجها الأول .. كان التهديد صريحا . فلم ينتظر الكونت أكثر من ذلك . ونهض في

الحال إلى أحد ادراج المكتب ففتحه . وأخرج منه وثيقة مطوية .
فبسطها أمامه .. ووقع عليها بإمضائه . ثم قدمها إلى البرنس
وهو يقول :

- إليك الوثيقة ... وأرجو ...

- أنت ترجو ما أرجوه .. فكلانا يتمنى ألا يرى وجه صاحبه
بعد الآن .. إلى اللقاء ياسيدي .. سارحل في المساء . وسترحل ابنة
أخيك غدا . وخرج وتبعته " هورتنس " .. ولما وصلا إلى غرفة
الاستقبال . ولم يكن بها أحد . قدم "رينين" الوثيقة إلى
صاحبه.

وسألها في رفق :

- والآن . هل ما زلت ناقمة علي؟؟ فمدت إليه يديها وغمغمت :
- إنك انقذتني من "روسيني" .. ورددت إلي أموالني وحريتي ..
فاشكرك من أعماق قلبي .

- إنني لا أطالبك بالشكر .. لقد كان كل غرضي في بداية الأمر أن
ادخل شيخانم السرور والتسلية على نفسك الحزينة فهل تعتقدين
أنني وفقت ؟

- كيف تلقي علي مثل هذا السؤال ؟ لقد مرت بي اليوم دقائق
لن أنساها وأصبحت اعتقد أن الحياة لا تكون حياة بمعناها
الحقيقي إذا أقفرت من المغامرات .

- إذا كنت ترين هذا الرأي وتعتقدين أن المغامرة هي الحياة ..
فتعالني معي .. وسأهي في مغامراتي فإذا وقعت - بالغريزة أو
بالمصادفة - على أثر جريمة من الجرائم .. فاشتركي معي في
كشف غوامضها .. وعاونيني على الترفيه عن ألام الناس ومتاعبهم
.. فهل توافقين؟؟

- أوافق من كل قلبي ..

جريمة الشاطئ

كان يوم ٢ أكتوبر قطعة من الصيف رغم أن هذا الفصل كان قد انفرط عقده أو كاد .. وقد أغرت حرارة الجو سكان (ايتريتا) على الخروج إلى الشاطئ لقضاء تلك اليوم بين أمواج البحر ورماله .
وقد كان البرنس "رينين" وصاحبه "هورتنس" بين أولئك الذين ساقطهم الأقدار إلى شاطئ (ايتريتا) في ذلك اليوم .. فقلبت الفتاة البصريين السماء والماء وغمغت :

- ما ابدع الجو اليوم !! ثم استطردت بعد لحظة :

- بيد أننا لم نجى اليوم بقصد الاستمتاع بجمال الطبيعة ... او للتحقق من أن هذه الصخرة الواقعة على الشاطئ كانت حقاً ملجأ لـ "ارسين لوبين" في أحد الأيام .. فقال البرنس "رينين" :

- كلا .. إننا لم نجى لهذا أو ذاك .. واعترف أن الوقت قد حان لإشباع فضولك .. ولو إلى حدما ... وأقول إلى حد ما لأن أبحاثي وجهودي طيلة اليومين الأخيرين لم تسفر عن النتيجة التي كنت أتوقعها .

- تكلم إذن .. إنني مصغية إليك

- لن أطيل عليك الحديث .. ولكن لأبد من بضع كلمات على سبيل

التمهيد . أنت تعلمين يا صديقتي العريضة أنني أبحث عن المغامرات حينما توجد وإنني لذلك أكلف بعض أصدقائي بإخطاري عن كل حادثة استطيع أن أجده فيه شيئاً من الغموض أو التسلية ... وقد حدث في الأسبوع الماضي أن أخطرني أحد أصدقائي بأنه سمع عفواً حديثاً تليفونياً جرى في منزله بباريس . فقد اتصلت إحدى السيدات تليفونياً بشخص يقيم في فندق بإحدى المدن الكبرى القريبة ولم يعرف صديقي اسم الرجل أو اسم الفندق أو اسم المدينة .. وكانت السيدة تتحدث باللغة الإسبانية بلهجة غير مألوفة .. بل كانت تحذف مقاطع بعض الألفاظ ليتعذر على السامعين فهم كلامها . وعلى الرغم من كل ذلك . فقد استطاع

صديقي ان يلم باطراف اهم نواحي الحديث . وان يقع على اهم المعلومات التي كانت السيدة تحرص على كتمانها . ويلخص ما فهمه صديقي في ثلاث نقاط :

اولا : إن هذه السيدة والرجل الذي تحدثت إليه - هو شقيقها - يتوقعان مقابلة سيدة أخرى تود التخلص من زوجها مهما كلفها ذلك .

ثانيا : إن موعد المقابلة تحدد مبدئيا في يوم ٢ أكتوبر ... على ان يتم هذا التحديد بصفة نهائية قاطعة بواسطة إعلان قصير ينشر بإحدى الصحف في لباقة وحرص .

ثالثا : أن تعقب مقابلة (٢ أكتوبر) نزهة على الشاطئ ترافق فيها السيدة الأخرى زوجها الذي تريد الخلاص منه .

هذه هي الحقائق الأساسية . ومن تحصيل الحاصل ان اصف لك مبلغ عنايتي بقراءة الإعلانات الصغيرة التي نشرتها الصحف الباريسية في الأيام الأخيرة ... على ان جهودي لم تنهض هباء فقد وقعت في إحدى الصحف صباح امس على الإعلان التالي :

" المقابلة ٢ أكتوبر ظهرا - ما تيلدا " .

وقد استنتجت ان الجريمة سترتكب على شاطئ البحر وهو استنتاج يتفق وما تقرر من القيام بالنزهة على هذا الشاطئ ولما كنت اعرف ان في هذه الناحية صخرة يطلق عليها اسم (ماتيلدا) فقد اتينا الآن لكي نفسد على اولئك الاشرار نواياهم .

فقلت " هورتنس " تستفسره :

- اتعني ان في الأمر جريمة ؟ هذا مجرد افتراض بلاريب . فاجاب "رينين" قائلا :

- كلا . فقد ورد في سياق المحادثة التي استرقها صديقي ذكر مسألة زواج ... زواج الاخ بالسيدة التي تريد الخلاص من زوجها . او زواج الأخت بزواج هذه السيدة . وهذا مما يقوي فكرة وجود جريمة مبيتة .

وكان مجلس " هورتنس " و " رينين " على شرفة الكازينو في مواجهة السلم المؤدي إلى الشاطئ . فشاهد اربعة رجال يلعبون

الورق امام اكشاك الاستحمام وقد جلس غير بعيد عنهم بعض نساء يتجاذبن اطراف الحديث وهن يشتغلن بالطريز . وراح نفر من الاطفال يمرحون على الشاطئ وقد غاصت اقدامهم في امواجه . ولم يكن يلفت النظر فوق ذلك سوى احد الاكشاك وقد تميز بوقوعه منعزلا عما جاوره وبإغلاق بابيه .

فقال هورتنس :

- الحق ان صفاء الطبيعة وجمال المشاهد التي امامنا لا يقعان من نفسي وقع تلك الآراء التي سربتها نعم لقد شغلتنني الجريمة الغامضة التي تخشى وقوعها .

- اصبت فإنني اخشى وقوعها كما تقولين . وارجو ان تصدقيني إذا قررت لك انني جعلت اقلبها على جميع وجوها منذ امس الاول دون ان افوز بنتيجة شافية بكل اسف .. فهنفت تردد قوله :

- دون ان تفوز بنتيجة شافية !.. إذن على اي وجه تنتهي هذه المسألة ؟ واستطردت تقول كأنما تخاطب نفسها :

- ترى من المهدد بالخطر من هؤلاء جميعا ؟ لقد وقع الاختيار على ضحية بلاريب .. ولكن من هذه الضحية ؟ أهى تلك الشقراء الجميلة التي تتمايل طربا وهي في ميعة العمر وزهرة الشباب ؟ أو هل سينشب الموت أطفاله في ذلك الرجل الذي ينعم بالتدخين ؟ ومن هؤلاء يطوي الضلوع على الغدر والاغتيال ؟ على أنه إذا كانت تلوح عليهم جميعا دلائل السعادة والاستسلام لعوامل اللهو البريء الذي ينهمكون فيه . فإن الموت يحلق فوق رؤوسهم ويرفرف حولهم بجناحيه .. فقال "رينين" :

- هانت قد اخذت تنصرفين إلى الاهتمام بما يدور حواليك .. وقد بدا اهتمامك ينجلي مبكرا .. ألم اقل لك من قبل .. إن الحياة مغامرة كبرى . وليس هنالك ما يعادل المغامرة ؟ .. لكنني أراك قد بدأت ترتعدين قبل ان يقع شيء حقا .. إنك ستساهمين في جميع الوقائع التي تدور أو ستمثل حولك . وأرى ان الشعور بالخفاء الذي يحيطك قد وصل إلى قرارة نفسك .. أراك تحديقين إلى تلك

الأسرة التي نتقدم نحونا .. فهل عندها سر الجريمة المخبوءة ؟ قد لا يستبعد أن يكون هذا الرجل هو الذي يضمن التخلص من زوجته .. أو ربما كانت هذه السيدة هي التي تنوي القضاء على زوجها .. فهتفت " هورتنس " :

- عائلة " امبرفال " !.. كلا.. هذا مستحيل .. فهي أسرة هائلة وادعة .. وكنت أتحدث بالأمس إلى الزوجة ، وكذلك كان من نصيبك أن تبادلها الحديث.

- إنني قد لعبت الجولف مع " جاك امبرفال " الذي يهتم بالألعاب الرياضية كما ساهمت مع ابنتيه الفانتين في إحدى العائمتما . وفي هذه اللحظة بنا " امبرفال " وزوجته من مجلس " هورتنس " و"رينين" . وبعد أن تبادل الجميع بعض عبارات التحية ذكرت مدام " امبرفال " أن فتاتها قد عادتا إلى باريس صباح اليوم مع المربية ، على حين وقف زوجها ذو اللحية الشقراء يتأفف من الحر وقد تابط سترته .

وواصل الاثنان سيرهما وما كادا يبتعدان عن " رينين " و"هورتنس" بنحو عشر خطوات حتى وقفا على سلم الكازينو وسال " امبرفال " زوجته :

- هل معك مفتاح الكابين يا " تيريز " ؟

- فاجابته قائلة :

ها هو ذا اتذهب إلى الكابين لمطالعة الصحف ؟ فقال " امبرفال " :

- نعم .. إلا إذا استحسننت أن نقوم بجولة معا .

فقال زوجته :

- ارى أن نؤجل السير إلى ما بعد الظهر فهل توافق على هذا

الراي ؟ إن لدي عشرة خطابات يتحتم علي كتابتها .

فقال " امبرفال " : كما تشائين . وسنصعد فوق الصخرة بعد الظهر .

هنالك لم يتمالك " رينين " و" هورتنس " نفسيهما من أن يتبادلا نظرة تنم عن الدهشة . فهل كانت خطة هذه النزهة مرسومة من قبل ؟ وهل هذه الأسرة هي ضالتهما المنشودة ؟ ضحكت " هورتنس " ضحكة مفتعلة وقالت :

- إن قلبي يثق بقا عنيقا . ومع ذلك فإني لا أستطيع أن أسلم

بإمكان حدوث مثل هذه المسألة . فقد قررت الزوجة أمامي ذات يوم انه لم يقع بينها وبين زوجها مشاحنة طفيفة .. إن من الجلي أن هذين الزوجين يتمتعان بالثقة المتبادلة والحياة الزوجية السعيدة . وهبط الزوج " امبرفال " درجات السلم ، بينما وقفت زوجته متكئة إلى حاجز الشرفة بقوامها الرشيق . ومع انها كانت على حظ وافر من الملاحه فقد كان محياها حينما يتلاشى ما يعلوه من ابتسام يشف عن ألم خفي وجزن كامن .

وهتلت فجأة حينما شاهدت زوجها ينحني فوق رمال الشاطئ :
- هل أضعت شيئاً يا جاك ؟

فاجابها قائلاً :

- نعم . فقد سقط المفتاح من يدي . فلحقت به وراح الاثنان يفتشان عن المفتاح ، ومالبثا أن اختفيا عن أنظار "رينين" وهورتنس" وتلاشى صوتاهما في جلبه اللاعبين . على انهما ظهرا للعيان بعد قليل فصعدت مدام "امبرفال" بضع درجات من السلم ثم وقفت تجيل بصرها بين الامواج . أما زوجها فقد طوح سترته على كتفه واتجه إلى ناحية الكابين (المنعزل) .

وفيما هو يتقدم هتف به لاعبو الورق وطلبوا إليه أن يفصل في خلاف شجر بينهم في اثناء اللعب ، لكنه أعلن عن رفضه لهذه المهمة بحركة من يده ، وابتعد عنهم واستأنف سيره حتى بلغ (الكابين) ففتحته وبلغ إلى الداخل . أما " تريز " امبرفال " فقد اتجهت نحو الشرفة وجلست فوق أحد المقاعد زهاء عشر دقائق ، ولم تلبث أن غادرت الكازينو ، ورائها " هورتنس " تدخل في أحد الابنية الملحقة بفندق " هوفيل " وظهرت بعد ذلك في شرفة المبنى . وقال "رينين" :

- لقد أذنت الساعة بالحادية عشر .. ولن ينقضي وقت طويل حتى يذهب شخص مجهول إلى الموعد المحدد ويحتمل أن يكون هذا الشخص هو هذه السيدة أو زوجها أو أحد هؤلاء اللاعبين .. أو احد رفاقهم ..

ورغم ذلك فقد مضت عشرون دقيقة ، ثم تلتها خمس دقائق آخر ولم يتحرك احد من موضعه . وقالت " هورتنس " آخر الامر وقد زایلها

تماسك اعصابها :

- الا يحتمل ان تكون مدام " امبرفال " قد ذهبت إلى الموعد المعلوم ؟
فهي لم تعد في الشرفة بعد ..
فقال " رينين " :

- إذا كانت قد توجهت إلى صخرة " ماتيلدا " فسنفا جثها عندها .
ونهض " رينين " من مجلسه .. وفي هذه اللحظة ثار بين اللاعبين
خلاف جديد وعلا ضجيجهم ، وقال واحد منهم :
- لنحكم " امبرفال " بيننا .
فقال آخر :

- كما تشاء .. وأنا اتعهد بالنزول على حكمه إذا قبل ان يفصل
بيننا .. لكنه رفض بخشونة من برهة وجيزة أن يبدي حكما .
وهتف الجميع في نفس واحد قائلين :
- امبرفال " ! .. " امبرفال " ! ..

ولاحظ اللاعبون ان " امبرفال " حينما دخل إلى (الكابين) اغلق الباب
خلفه ، الأمر الذي يجعله في ظلام دامس في الداخل ، لاسيما انه
لم يكن للكابين نوافذ ، فقال احدهم :
- لا بد انه قد نام .. فلنوقظه .. وهتفوا مرة اخرى معا :

- " امبرفال " ! .. " امبرفال " ! .. ونهض اللاعبون الأربعة واتجهوا
إلى ناحية الكابين . وهم يهتفون باسم " امبرفال " ، دون أن يجيبهم
فلما يئسوا من الفوز بالرد على نداءاتهم المتكررة راحوا يطرقون
الباب قائلين :

- ماذا جرى يا " امبرفال " ؟ .. هل انت نائم ؟

اما " سيرج رينين " فقد انتصب فجأة فوق الشرفة وقد لاحظ عليه
امارات القلق الشديد حتى لقد انزعجت " هورتنس " من هيئته
وهتفت قائلة :

- عسى الا نكون قد تاخرنا ..

ولم تكذ " هورتنس " تتم عبارتها حتى قفز " رينين " فوق السلم
قفزة قوية وانشأ يعدو متجها إلى الكابين ، فبلغه في اللحظة التي
هم اللاعبون باقتحام بابها .

فصاح فيهم في لهجة الامر قائلا :

- قفوا . لابد ان يسير كل شيء بنظام ..

فقالوا يسألونه وقد دهشوا لرؤيته :

- ماذا تعني ؟

لكنه لم يجب وإنما صوب إلى الباب نظرات فاحصة ، وما لبث ان راح يحاول الصعود إلى السقف ، فلما بلغه بعد مشقة اخذ يصوب بصره إلى داخل الكابين ، على حين هتف اللاعبون يسألونه متلهفين :

- ماذا جرى ؟ اتبصر شيئا ؟

فقال وهو يعود إليهم :

- لقد كنت افهم حق الفهم ان المسيو " اميرفال " لا يجيب إلا لان حادثا خطيرا يمنعه من ذلك .

فراح الاربعة يرددون عبارته قائلين :

- حادث خطير ؟

فقال " رينين " :

- نعم .. فكل الدلائل تشهد بان مسيو " اميرفال " قد جرح .. او فارق الحياة .

فصاحوا يقولون :

- وكيف يجرح او يفارق الحياة . وقد مر بنا منذ برهة وجيزة ؟

واخرج " رينين " من جيبه مطواة واخذ يعالج فتح القفل ، فلما نجح آخر الامر وفتح مصراعي الباب ارتفعت صيحات الرعب والفرع من كل جانب . فقد شاهدوا " اميرفال " ممددا على وجهه فوق الأرض وقد قبض بكلتا يديه على سترته وصحيفة كان يطالع فيها .. واخذ الدم ينبثق من ظهره فيصير قميصه بلون احمر قان .

هنالك قال احد الرجال الاربعة :

- هذه جناية إنن ؟ .. لكن هذا مستحيل .. فإنه لم يقترب احد

من هنا .. ولو مرينا احد لراينا .. فإنه لا يمكن ان يدنو من الكابين دون ان يقع بصرنا عليه . وهرع من الشاطئ رجال ونساء واطفال

يستطلعون جليلة الخبر وتجمعوا امام الكابين .. وكان بينهم طبيب اسرع بالدخول .. ولكنه ما لبث أن رأى أنه قد جاء بعد فوات الاوان ، فقد رأى أن المسيو "امبرفال" قد فارق الحياة ، وقرر لمن حوله انه مات متأثرا بطعنة خنجر . واقبل عمدة البلدة بعد قليل وفي رفقته بعض الحرس والاهالي . وبعد أن عاين الجثة وتمت الإجراءات المألوفة في مثل هذه الحال حملت الجثة إلى حيث تشيع إلى مرقدتها الأخير . وتطوع بعض الافراد بالذهاب إلى " تيريز امبرفال" زوجة القتيل لإبلاغها نبا الفاجعة ، فوجدوها واقفة في شرفتها .

* * *

وهكذا ارتكبت هذه الجناية دون أن يتوصل أحد إلى إدراك غوامضها .. وكيف يعقل أن يقتل إنسان في فترة لاتتجاوز عشرين دقيقة على مشهد من هذا الجمع ، اوعلى الأقل في اثناء وجودهم على مدى الصوت منه ، وقد أغلق على نفسه الكابين من الداخل ، ولم يقتحم إنسان عليه الباب إذ وجد القفل سليما ؟ فاما الخنجر الذي اصيب منه بطعنة بين كتفيه ، فإن احدا لم يهتد إليه .. وهكذا بدت هذه الجريمة شديدة الغموض والخفاء حتى لكانها سحر ساحر او شيطان ااثيم .. ولم تستطع " هورتنس" ان تسير مع الذين ذهبوا لإخطار مدام " امبرفال" بالكارثة كما رغب إليها "رينين" أن تفعل .. فقد كانت هذه هي المرة الأولى التي تقودها فيها مغامراتها مع "رينين" إلى مواجهة الجريمة والإشراف على وقائعها وملابساتها عن كثب، حتى لقد احسبت برعشة تسري في كيانها واخذت تتمتم قائلة :

- هذا مروع حقا ! .. ويل للمجرم الاثيم ! . اواه يا "رينين" .. لقد كان في وسعك أن تعمل على دفع الكارثة وإنقاذ هذا التمس .. إن التفكير في هذا الخاطر يبعث في نفسي جزعا لاحد له .. لقد كان الواجب يحتم علينا أن نبادر الى إنقاذه مادما قد وقفنا على طرف من انباء المؤامرة ... فأخرج "رينين" زجاجة نوشادر من جيبه وأنانها من أنفها ، فلما هدا روعها راح يتفردس في وجهها وقال

- هل تعتقدين حقا بوجود صلة بين الجريمة التي ارتكبت الآن وبين تلك المؤامرة التي عزمنا على كشف غوامضها ؟ فادهشها سؤاله واجابته قائلة :

- نعم . إنني اعتقد في ذلك اعتقادا راسخا .
فقال "رينين" :

- إذن ، فما دامت المؤامرة دبرتها زوجة ضد زوجها .. وقد ذهب الزوج ضحية لها .. فلا مناص لك من التسليم بأن مدام "امبرفال" الزوجة هي .. فصاحت "هورتنس" قائلة :

- كلا .. كلا .. إن مدام "امبرفال" لم تغامر منزلها .. وفوق ذلك فلا يمكن أن اعتقد أن هذه السيدة الوبيعة مجرمة تتلطف يداها بدماء زوجها . لا .. لا .. لا ريب أن هنالك سراخفيا في ظروف هذه الواقعة ..

- أي سر هذا الذي تعنين ؟

- أه .. إنني لم أعد اقوى على الفهم .. فإن كل هذه الوقائع تبدو لعيني شديدة الغموض لا أستطيع النفاذ بفكري إلى بواطنها .

- إنني أكاد أرى رأيك أيضا . ولا يبعدان الحديث الذي دار بين الاخ واخته قد فهم على غير وجهه الصحيح . وفي وسعك أن تلاحظي أن الجريمة قد تمت في زمان ومكان يختلفان كل الاختلاف عما كنا نتوقع .. وامسك هنيهة ثم استطرد قائلا :

- وإن فليس هناك أدنى صلة بين المسالتين . فقالت "هورتنس" :

- لقد أصبحت عاجزة عن الفهم .. وهذه كلها أمور تبدو لعيني شديدة الغرابة والغموض .. فقال "رينين" وقد لاحظت على وجهه إشارات التهكم :

- إن تلميذتي تضرب لي اليوم أسوا الأمثال بسلوكها .
- ماذا تعني ؟

- إن ما وقع أمامك هو أمر هين لا صعوبة فيه .. فقد شاهدت بعيني رأسك ما حدث كأنما هو أحد المشاهد السينمائية .. ومع ذلك فما زلت عاجزة عن الفهم كأنك تسمعين عن حادث وقع في مكان سحيق . فقالت "هورتنس" وقد أحست بالخجل يساورها :

- ماذا تقول؟ وهل فهمت أنت شيئا مما حدث؟ فالقى نظرة على ساعته وأجاب قائلا:

- لم أفهم كل شيء .. نعم إنني كنت أول من صافح بصره مشهد الجريمة المروعة ، لكنني لم أتوصل إلى كشف خفاياها بعد ، ومعرفة الدافع إليها . لقد انتصف النهار . ومتى رأى الإخوان أن أحدا لم يحضر إلى الموعد المتفق عليه عند صخرة " ماتيلدا " فإنهما يعودان إلى الشاطئ إلا ترين معي أنه يجب علينا أن نبحث عن شريكهما الذي اعتقد اعتقادا راسخا بوجوده ؟ وكذلك عن العلاقة التي تربط هاتين المسألتين معا؟

واتجه الاثنان إلى ناحية المنازل الملحقة بالفندق ، فشاهدوا في الطريق بعض الصيادين ، ووجدوا لدى أحد المنازل جمعا حاشدا من الناس دفعهم الفضول إلى الوقوف والاستطلاع ، على حين وقف اثنان من الحرس يحولان بينهم وبين دخول المنزل . وقد حاول العمدة بنفسه أن يفرق الجموع عبثا ، وكان قد عاد من مركز البوليس حيث اتصل بـ"الهافر" تليفونيا ، فاخطر بان وكيل النيابة سوف يحضر مع قاضي التحقيق بعد ظهر اليوم وقال "رينين" حينما وقف على هذه البيانات :

- هذه مهلة نستطيع في أثنائها أن نتناول طعام الغداء ، ولن يسدل الستار على هذه المسألة قبل الساعة الثانية أو الثالثة . وأسرعوا في سيرهما لتناول الغداء . وكانت "هورتنس" قد أحست بالتعب ينهك قواها ، كما كانت تساورها رغبة ملحة في استفسار "رينين" عما يبدو لعينيها شديد الغموض .. لكنه لم يجبها إجابة شافية . وما فتئ يصوب بصره إلى الشاطئ في أثناء تناول الطعام من خلال نوافذ الغرفة التي تشرف على البحر . فقالت "هورتنس" :

- هل تترقب أحدا؟ فاجابها قائلا :

- نعم .. إنني التمس الأخ وأخته فقالت "هورتنس" :

- وهل تحسبهما يجازفان بالحضور؟

فهتف "رينين" قائلا :

- بل هاهما قد اقبلا .. وهرع "رينين" إلى خارج الحجرة مسرعا .
وشاهدت "هورتنس" لدى رأس الشارع الرئيسي رجلا وامراة
يتقدمان بخطى مترددة كأنهما على غير علم بالجهة التي
يقصدانها وكان الأخ ضليل الجسم يضع على رأسه قبعة رخوة
كاسكيت) مما يلبسها سائقو السيارات . اما الأخت فكانت بدينة
تلوح عليها دلائل القوة وقد ارتدت معطفا فضفاضاً وعلى الرغم من
انها كانت متقدمة في السن فقد ظلت محتفظة بأثار حسن قديم
تلوح تحت النقاب الشفاف الذي كانت تغطي به وجهها .

ولما رأى الاثنان تلك الجموع الحاشدة اتجها نحوها في
خطوات تشف عن الاضطراب والتردد . واستوقفت الأخت بحارا
في طريقها ، واستفسرته جليلة الخبر ، فما كاد يعلن إليها نبا
وفاة "امبرفال" حتى بدرت منها صيحة مكتومة وراحت تشق
طريقها بين الجمع المحتشد .. ولما علم الأخ كذلك بحقيقة المسألة
شق لنفسه طريقا بين الجمهور المزدحم حتى وصل إلى باب المنزل ،
وهناك راح يخاطب الحارسين قائلا :

- إنني صديق لـ "امبرفال" ... هاكم بطاقتي واسمي "فريدريك
استنچ" .. وهذه شقيقتي "جرمين استنچ" ، وهي صديقة حميمة
لدام "امبرفال" . لقد كانا في انتظارنا .. وكنا نحن الأربعة على
موعد مهم .

فاخلى الحارسان سبيلهما وتركاهما يمران دون كلمة واحدة .
وكان "رينين" في أعقابهما ، فدخل في اثرهما وفي صحبتة "هورتنس"
كانت اسرة امبرفال تحتل الطابق الثاني المكون من أربع غرف
وصالون ، فاسرعت الأخت إلى إحدى هذه الغرف ثم ارتمت على
ركبتيهما قرب السرير الذي سجي عليه جثمان القتيل . وكانت
تيريز امبرفال في تلك الحجرة تبكي وترسل الدمع السخين ،
بينما احاط بها نفر جلسوا حولها في صمت وسكون . هنالك
اقبل عليها الأخ وامسك بيديها في توجع وقال في صوت متهدج :
- يا صديقتي المسكينة .. يا صديقتي المسكينة . وجعل "رينين"
وهورتنس يحذقان طويلا إلى هذين الزائرين وقد اقبل الأخ على

"تيريز" يواسيها على مثل هذه الحال .
فقالت " هورتنس" تخاطب "رينين" في صوت خافت مرتعش
النبرات :

- أيمن أن تكون هذه المرأة قد قتلت زوجها من أجل هذا الرجل ؟
هذا محال .. هذا محال ..
فقال "رينين" :

- ومع ذلك فإن بينهم معرفة وثيقة .. وقد بلغنا من قبل أن
فريدريك استنحج وأخته يتصلان بشخص ثالث هو شريكهما ..
حتى أنه .. فقاطعته "هورتنس" قائلة :
- هذا محال ... هذا محال ...

شعرت "هورتنس" بعطف كبير على "تيريز" أمبرفال رغم تلك
الاتهامات التي كانت تكال لها . وماكاد "فريدريك" استنحج يقوم من
جانبها حتى سارعت الأخت إليها وجلست بقربها وأخذت
تواسيها في رفق ، بينما دموعها تنحدر بلا انقطاع .
أما "رينين" فقد وجه عنايته إلى مراقبة الأخ وأخته مراقبة دقيقة
ولم يدعها يغيبان عن نظره لحظة .

ولقد طرح "فريدريك" عنه أمارات التائر وأخذ يتنقل بين
الغرف باحثا منقبا ، وراح يختلط بأفراد الجمهور ويستفسر
الناس عن كيفية وقوع الجريمة ، كما رافقته شقيقته في بعض
طوافه .

فلما أتم المهمة التي أخذها على عاتقه عاد إلى جانب مدام
"أمبرفال" وهو يكاد يفيض عطفًا عليها وثناء لما ألم بها .
وانفرد بعد ذلك بأخته في الغرفة الخارجية وجرت بينهما مناقشة
طويلة افترقا على أثرها وقد لاح عليهما أنهما قد اتفقا على أمر
معين . ولما باطرافه جميعا... وخرج "فريدريك" من المنزل بعد ذلك ،
وقد استغرقت هذه الاجتماعات والمحاورات مدة تتراوح بين
ثلاثين وأربعين دقيقة . ووصلت في هذه اللحظة سيارة تقل
النائب وقاضي التحقيق . ولما لم يكن "رينين" يتوقع حضورهما
بمثل هذه السرعة فقد راح يخاطب "هورتنس" قائلا :

- يجب ان نعمل بالعمل لازمي مدام " امبرفال " ولا تفارقها مهما حدث . وخطر الأشخاص الذين يفتقر التحقيق إلى اقوالهم ، بالاجتماع عند الشاطئ إذ يبدأ القاضي تحقيقه الابتدائي ، وقد تقرر بعد ذلك ان يرجع إلى المنزل لأخذ اقوال مدام " امبرفال " ، خرج الجميع ولم يبق سوى الحارسين و " جرمين استنچ " .

وجئت " جرمين استنچ " للمرة الأخيرة إلى جانب فراش القتيل ، ثم اطرقت براسها وجعلت تصلي طويلا . ثم نهضت وفتحت الباب المؤدي إلى السلم .. وهناك بنا منها " رينين " وقال يخاطبها :

- لدي كلمات قليلة اود ان القيها على سمعك يا سيدتي فلاحث عليها سمات الدهشة . بيد انها اجابت قائلة :
- قل ما تشاء يا سيدي فإنني مصفية إليك .
- لكن لا يمكن ان اتكلم في مثل هذا المكان .
- إذن فإين تحب ان نتحدث ؟
- في مكان قريب من هنا . في الصالون فاجابته في عنف قائلة :
- كلا .

فقال " رينين " :

- وما المانع ؟ إنك لم تصالحي مدام " امبرفال " ، ومع ذلك فانا اعتقد انها صديقتك على كل حال .. اليس كذلك ؟ ولم يترك لها وقتا كافيا لكي تفكر ، وإنما جذبها إلى الغرفة واغلق الباب خلفها ثم اسرع إلى مدام " امبرفال " وقد حاولت ان تغادر الغرفة وخاطبها قائلا :

- كلا يا سيدتي . استحلفك ان تبقي وان تسمعي ما يقال ، فإن حضور السيدة " استنچ " يجب الا يحملك على الخروج .. إننا سنتحدث في مسائل شديدة الخطورة ، وسوف نبدا الحديث فورا .

ووقفت المرأتان وجها لوجه وراحتا تتبادلان نظرات تفيض حقدًا لا يخفى على احد . وكانت " هورتنس " تعتقد حتى هذه

اللحظة انهما على وفاق وتفاهم في بعض المسائل ، فلما تجلى لها ماتضمركل منهما للآخرى من حقد دفن خشيت أن يحدث مالا تحمد عقباه . فراحت تحض " تيريز " على الجلوس ، بينما جلس "رينين" في وسط الحجرة وانشأ يخاطب المرأتين قائلاً :

- إن المصادفة المحضة التي هدتني إلى الوقوف على الحقيقة ستهين لي أن أنقذكما كليكما على شرط أن تزللا مهمتي باطلاعي على كافة البيانات التي احتاج إليها . أما حقيقة الخطر الذي يتهديكما فانتما لا تجهلانه ، بل كلتاكما تعرفه معرفة جيدة ، وتترك جيداً ما قد يتولد عنه من شر جسيم . لكن الحقد يملأ عليكما شعاب نفسيكما ... وليس هناك سواي من يسيطر على الموقف سيطرة تامة ويستطيع أن يوجه السفينة إلى الوجهة المأمونة ... إن قاضي التحقيق سيرجع بعد نصف الساعة ... ويجب أن يتم الاتفاق بيننا على جميع التفاصيل قبل حضوره . ما كانت المرأتان تلمان بما ينطوي عليه قول "رينين" حتى لاحت عليهما دلائل الاضطراب . بيد أنه لم يحفل بما أصابهما ، وإنما استطرد يقول في لهجة التسلط والأمر :

- نعم .. لا بد أن نتفق .. وسوف يتم هذا الاتفاق سواء رضيتما أم كرهتما .. فإن هذا الموضوع ليس وقتاً عليكما وحدكما حتى تستائرابه .. وإنما هناك فتاتان صغيرتان يا مدام " امبرفال " .. وما دامت الأقدار قد هياتني لهما ووضعتنني في طريقهما فساقحم نفسي في تيار هذه الوقائع وأعمل ما فيه خيرهما وما يقتضيه الدفاع عنهما ، ولو تفوهت يا مدام " امبرفال " بكلمة واحدة فوق ما ينبغي أو حدث أقل خطأ لأصاب ، الفتاتين أذى بليغ .. لاحت على وجه مدام " امبرفال " إشارات التائر حين جاء ذكر الفتاتين ، وانشأت تبكي .. أما " جرمين استنج " فقد هزت كتفها وبدرت منها حركة تدل على رغبتها في الخروج .. لكن "رينين" اعترض سبيلها قائلاً :

- إلى أين تقصدين ؟

- فأجابته قائلة :

- لقد استدعاني قاضي التحقيق .

- كلا ..

- بل لقد استدعاني في جملة الذين استدعوا لاداء الشهادة .

- إنك لم تكوني حاضرة وقت وقوع الجريمة . ولا تعرفين شيئا
مما وقع بل ليس هناك من يعرف شيئا عن هذه الجريمة .
فهتفت المرأة قائلة :

- بل إنني أعرف مرتكبها ..

- محال ...

فكانت المرأة في لهجة الجزم واليقين

- بل أعرف ذلك .. فهي " تيريز امبرفال " .

فاهت بهذا الاتهام الصريح في نوبة غضب مفاجيء . وقد شفعت
عبارتها بحركة تهديدية من يدها .

- فصاحب مدام " امبرفال " :

- ايتها الشقية .. انهبي من هنا .. اغربي عني ..

- يالك من امرأة شريرة .

فحاولت " هورتنس " أن تهديء من روعها . لكن " رينين " همس
إليها قائلاً :

- بل دعيها .. فهذا ماكنت أرمي إليه . أريت أن أواجه كلا منهما

بالأخرى حتى تظهر الحقيقة .. وراحت مدام " استنچ " ترتجف

بتأثير ما وجه إليها من الإهانة فهتفت بدورها قائلة :

- أنا شقية .. ولماذا ؟ الأنى اتهمتك علناً ؟

فصاحت مدام " امبرفال " قائلة :

- بل أنت شقية على طول الخط .. هل تسمعين يا " جرمين "

أنت شقية . واستمرت مدام " امبرفال " تنهال عليها بالفاظ الشتم

والإهانة حتى هدأت قليلا سورة الغضب التي استولت عليها .. أو

ربما لم تجد لديها القوة الكافية للإمعان في خطتها .. فلما أمسكت ،

راحت مدام " استنچ " تثير الشجار من جديد وأخذت تلوح بقبضة

يدها مهددة . بينما تقلصت عضلات وجهها . فبدت كأنها عجوز

تزيد على سنها الحقيقي عشرين عاما وأنشأت تخاطب مدام

امبرفال" قائلة :

- انت ! .. انت تجرئين على إهانتني ! .. بعد ان ارتكبت جريمتك
اتجسرين على رفع رأسك ولم يزل ذلك الرجل الذي اغتلت حياته
ملقى على فراش الموت ؟ .. لو كان لابد من نعت إحدانا بانها
شقية . فليس إلاك .. نعم انت .. الشقية يا " تيريز " .. يا قاتلة
زوجها ..

وتاججت نيران الغضب في صدرها وهي تتفوه بهذه الكلمات
القاسية التي راحت تقذفها قذفا في وجه صاحبته .. وبسطت يدها
تحاول لطمها حتى مست اظفارها وجه مدام " امبرفال " ،
واستطربت تقول هادرة :

- لا تنكري أنك قاتلة زوجك لا تحاولي الإنكار . إن الخنجر لا يزال
هناك في حقيبة يدك . وقد لمسني أخيه بيده وهو يحدثك . بل لقد
مس يده في الحقيبة ولمسه فخضبت الدماء أطراف أصابعه . نعم
دماء زوجك يا " تيريز " . وإذا فرض أنني لم اتوصل بنفسي إلى
حقيقة الامر . فهل حسبت أن مسألة كهذه تخفى علي ؟ . أوكد لك أن
مجرد سماعي نبا الجريمة كان يكفي إذ ذاك لكي استنتج منه
الحقيقة . لقد عرفت كل شيء يا تيريز . ولما أجابني البحار حين
سألته عن سبب احتشاد الجمع خارج المنزل بأن المسيو " امبرفال "
قد قتل . قلت لنفسني على الفور : بأن " تيريز " هي قاتلته :

كانت " تيريز " تسمع كل هذه الاتهامات دون أن تنبس بكلمة
واحدة . بل لم تبدر منها أدنى حركة تدل على احتجاجها ، وخيل
إلى " هورتنس " أن هذه المرأة قد تربت في هوة لاخلاص لها منها
وأنها تشعر بياس مطبق ياخذ عليها أبواب النجاة . ولقد تجلت
دلائل الحزن البالغ والام العميق على صفحة وجهها باجلى
معانيها حتى لقد رقت " هورتنس " لحالها وانشأت تستحثها
للدفاع عن نفسها قائلة :

- اوضحني كل شيء . أرجو أن تتكلمي . لقد كنت هنا في المنزل في
أثناء وقوع الجريمة . وقد شاهدتك في الشرفة . فكيف وصل إليك
هذا الخنجر ؟ . أفصحي . فقالت " جرمن " استنتج " متهمكة :

- اتطلبين منها إيضاحا ؟ وهل تقوى على ذلك ؟ إن المظاهر السطحية لا تجدي فتيلا ، وهل تحسبين أن مشاهدتك لها قد تنفي عنها الجريمة ؟ إن الحقيقة الثابتة التي لا تجدي معها مواراة أو إنكار أن الخنجر هنا في حقيبة يدها ، نعم يا تيريز " أنت القاتلة . اواه ، كم قلت لأخي من قبل إنك سوف تقتلين زوجك ، لكن " فرديك " كان يحاول الدفاع عنك ، لأنه يحبك ويعطف عليك ، ومع ذلك فقد كان يتوقع هذه الجريمة ، وما هو ذا المحذور قد وقع حقا ، وقد وقع بطعنة خنجر في الظهر ، يا اللجن ، وبالنزلة ، ولم نقل في أول الأمر شيئا أنا أو فرديك " لكننا رحنا نفتش عن أدلة جرمك حتى اهتدينا إليها ، وسنكشف عن حقيقتك ، ونهتك سر ، والآن لقد قضى الأمر يا تيريز " ، وليس لديك أمل في النجاة ، فالخنجر في حقيبة يدك ، تلك الحقيقة التي أراك الآن تقبضين عليها وتشدين القبض . سيعود القاضي بعد قليل فيجد الخنجر في الحقيبة وعليه آثار الدماء مماء زوجك الصريع . وسوف يجد كذلك حافظة أو راقه بما تتضمن من الوثائق والمستندات .. واشتد بها الانفعال واحتقن وجهها حتى لم تستطع أن تستمر في حديثها . أما " رينين " فقد بسط يده متمهلا وامسك بحقيبة " تيريز امبرفال " لكنها لم تلبث أن جذبتها بعيدا عنه .. فأخاطبها قائلا :

- دعيني أتصرف تصرفا معقولا يا سيدتي .. إن صديقتك جرمين " محقة فيماتنذهب إليه . فسوف يحضر قاضي التحقيق بعد قليل ، ولو عثر على الخنجر في حقيبتك فإنه يصدر امره باعتقالك على الفور ، ينبغي إذن ألا يبقى هذا الخنجر هنا ، وأرجو أن تدعيني أتصرف بما فيه مصلحتك . وقد كانت نبرات صوته مفعمة رقة حتى لقد تشجعت " تيريز " وكفت عن إحجامها . وتخلت عن الحقيقة آخر الأمر فتناولها وفتحتها وإذا هو يستخرج منها خنجرا صغيرا .. وحافظة أوراق رمانية اللون . فمس " رينين " الخنجر والحافظة في جيب سترته الداخلي بهدوء .. على حين كانت " جرمين " تراقبه وقد استولى عليها الذهول .. وما لبثت أن قالت :

- هل جئنت يا سيدي ؟ . باي حق تستولي على هذه الأشياء ؟ .

فاجاب "رينين" بهدوء قائلا :

- هذه هي الوسيلة الوحيدة التي اطمئن بها على هذه
الآبوات.. فإنني موقن ان القاضي لن يفتش عنها في جيبى . فجابته
"جرمين" قائلة :

- لكني ساطلعه على ذلك ايها السيد . فضحك "رينين" وقال :

- كلا . كلا . إنك لن تقولي شيئا . إذ لا دخل للعدالة في هذه
الشؤون .. وان ما بين شخصيكما من خلاف يسوى بينكما فقط .
لاحق لك في ان تقحمي القضاء في مسائل الحياة العامة او
الخاصة .. فهاجت مدام "استنج" وراحت تقول محتدة .

- ولكن باي حق تتحدث على هذا النحو ؟ . من انت ؟ .. هل انت
صديق لهذه المرأة ؟

- نعم . إنني صديقها . وقد بدأت هذه الصداقة منذ ان اخذت في
مهاجمتها .

- إذا كنت اهاجمها فلانها جانية . ولا يسعك ان تنكر انها قد
اغتالت زوجها .

فقال "رينين" وقد لاحت عليه امارات التماسك والهدوء :

- انلا انكر ذلك ونحن متفقون جميعا على ان "جك" امبرفال " قد
قتل بيد زوجته لكن اكرر لك انه لا مناص من الحيلولة بين العدالة
وبين هذا الشأن . - لكني سالكفل بان اجعل العدالة تاخذ مجراها
واقسم لك على صدق هذا العزم . فإنه لابد من عقاب هذه المرأة
جزاء ما سفكت يداها من الدم المهدور . فدنا منها "رينين" ولمس
كتفها ثم خاطبها قائلا :

- لقد سالتني منذ هنيهة باي حق اتدخل ؟ فهل لي الآن ان القي
عليك هذا السؤال بعينه ؟ . فجابته قائلة :

- لقد كنت صديقة "جك" امبرفال . فقال "رينين" :

- صديقتك فقط ؟ فلم يرق في عينها هذا السؤال وتجاهلته .

واجتزأت بهذه العبارة :

- لقد كنت صديقتك ، ومن نواحي البر بهذه الصداقة ان انتقم

- بل تلزمين الصمت كما لزمه " امبرفال " .

- إنه لم يعرف الحقيقة وقت ان فاضت روحه .

- هذا خطأ ووهم بين . فقد كان في وسعه ان يتهم زوجته .
وكان لديه وقت كاف لذلك . لكنه لم يقل شيئا .

- وماذا حمله على السكوت ؟

- لقد سكوت من اجل فتاتيه .

لكن مدام " استنح " لم تتشا ان تلقي سلاحها .. وبدأ في عينيها
عزم راسخ على الانتقام .. على انها مع تلك باتت تخشى " رينين " .
وقد أصبح يسيطر بشخصيته القوية على هذا المحيط المكهرب
المفعم بالحفيظة والرغبة في الثار .

ورأت " جرمين " آخر الأمر مدام " امبرفال " قد انتعشت آمالها
لوجود هذا العضد القوي الذي هبط عليها وهي توشك ان تتردى
في الهاوية .

والحق لقد قالت " تيريز " :

- كم أشكرك ياسيدي من كل قلبي . فإنك تدرك جيدا انني لم اشأ
ان اسلم نفسي إلى العدالة بسبب فتاتي .. وإلا لما ترددت في تلك
لحظة واحدة . فإنني قد بدأت اشعر بالكل والياس .
وهكذا تغير الموقف وانقلب الوضع على اثر عبارات فاه بها
رينين " فإن الجانية أخذت ترفع راسها وتتمالك جاشها . بينما
انكمشت " جرمين " وكفت عن الاتهام . وقال " رينين " يخاطب مدام
امبرفال " في لهجة رقيقة :

- والآن . احسب ان في وسعك ان تفسري لنا كل شيء فقالت

مدام " امبرفال " :

- نعم . نعم في وسعي ان ارد على اتهامات هذه المرأة . وان

اقرر الحقيقة مجردة من كل زيف أو تشويه . اليس كذلك ؟ .

وتهاكت فوق احد المقاعد ، وقد أخذت الدموع تنحدر من عينيها .
ولاحت على وجهها سمات الالم البالغ . ولكنه لم مجرد من شوائب
الحقد والضغينة . وانشأت تسرد قصتها قائلة :

- إن هذه المرأة عشيقة زوجي . وقد انقضت أربعة أعوام على هذه العلاقة قاسيت في أثنائها أمر الآلام .. ولقد جرؤت هذه المرأة على أن تكشف لي بنفسها عن هذه العلاقة الآثمة .. وكان بغضها لي يفوق ما تكن من عشق لزوجي .

وقد راحت كل يوم تحاول إثارتني واستفزازي ، فكانت تحدثني بالتليفون عما يقع بينهما من مقابلات .. حتى تضاعف من المي وتزيد في ياسي . فتدفعني بذلك إلى الانتحار كمدأ وغما .

والحق لقد خطر ببالي الانتحار أكثر من مرة ، لكنني كنت أبعد هذه الفكرة من ذهني من أجل ابنتي . أما "جاءك" فكان أطوع لها من البنان . لا يكاد يعصي لها أمرا . حتى لقد طلبت منه أن يطلقني .. ولقد انصاع "جاءك" لهذه الفكرة تحت إلحاحها هي وشقيقها . كنت على علم بكل هذه الدسائس التي تحاك حولي . والمس أثارها فيما يبيده "جاءك" نحوي من غلظة في المعاملة وقسوة تفعم نفسي أسى وهما . لكنه لم يأنس من نفسه مع ذلك شجاعة للإقدام على الطلاق . وهكذا وكنت عقبة في طريقه . رحماك ياربي . هل قاسى أحد مث لما قاسيت في هذه الدنيا من الألم والعذاب ؟

فهتفت "جرمين استنح" قائلة :

- كان في وسعك أن تحريره من قيود هذا الزواج . ولا يجوز أن تقتلي رجلا لكونه يرغب في طلاقك .

فهزت "تيريز" رأسها وقالت :

- إنني لم أقتله بسبب رغبته في الطلاق . فلو أنه كان يهم به حقا لما تردد في الانفصال والرحيل . وهل كان في وسعي أن أفعل شيئا لو أنه أقدم على ذلك حقا ؟

لكن مطامعك قد تشعبت يا "جرمين" ولم تقف عند حد . واصبحت تتطلعين أنت وشقيقك إلى ما هو أكثر من الطلاق . وقد خضع لكما "جاءك" جبنا منه وقسرا عنه .

فتمتتم "جرمين" في صوت متهافت قائلة :

- ماذا تعنين ؟ ماذا تقصدين بهذا القول ؟

فصاحت "تيريز" قائلة :

- لقد كنتما تتأمران على حياتي وتدبران التخلص مني ..
فاجابتها مدام "استنح" في صوت حاد قائلا :

- بل انت كاذبة . ولكن " تيريز " لم تتغير لهجتها ولم تات بحركة
تنفي بها هذا التكذيب وإنما استطارت تقول في سهولة :

- نعم لقد كنت تدبرين موتي يا " جرمين " .. لقد وقعت في يدي
رسائلك الأخيرة إليه ، وهي ست رسائل نسيها الشقي في جيبه .
نعم لم يرد فيها ذكر هذه الكلمة الرهيبة .. كلمة الموت .. لكن كان
خيالها يطل من بين السطور كالصبح لذي عينين .

لقد طالعت تلك الرسائل وأنا ارتجف من فرط التهيج والانفعال .
ومع ذلك فلم يخطر ببالي قط أن اثار منه أو اقضي عليه .. إن
امراة مثلي يا " جرمين " لا تقتل بمحض اختيارها . وإنما تقدم على
ذلك في ساعة جنون .. فإذا كنت قد اقترفت هذه الجريمة ، فقد
اقترفت بعد أن طفح الكيل .. وبسببك انت ...

وانثنت إلى " رينين " كأنما تساله إن كانت تؤاخذ على هذا القول .
لكنه أوما لها يطمئنها ويشجعها على الاستمرار في سرد قصتها .
فاخفت وجهها بين راحتها كأنما تحجب عن ناظرها مشهدا رهيبا
ارتسم أمام بصرها فعلا نفسها رعبا وجزعا . أما " جرمين استنح "
فقد جلست في موضعها لا تبدي حراكاً بينما كانت " هورتنس "
تضطرم لهفة للوقوف على تفاصيل الجريمة والإلمام بخفاياها .
استطردت " تيريز " قائلة :

- لقد أعدت الرسائل المذكورة إلى حافظة أوراق زوجي .. ولم اتفوه
إمامه بكلمة واحدة أو أبد أقل إشارة تدل على وقوفي على
حقيقة ما يببئ ضدي . ومع ذلك فقد كان يتحتم علي أن اعجل
بعمل حاسم لأن رسائل " جرمين " كانت تنبئ بقرب قدومها سرا
إلى هنا في هذا اليوم . وقد خطر بذهني أول الأمر أن استقل القطار
وانجو بحياتي وبفعتني غريزة التعلق بالحياة إلى أن اتناول
هذا الخنجر حتى ادافع به عن نفسي إذا أرغمتني الظروف على
ذلك . على أننا ماكننا ناتي إلى هذا المصيف حتى ارتضيت الموت
وفضلته على هذا الكابوس الثقيل الذي كنت أرزح تحت اعبائه .

ومع ذلك فقد ارتأيت من أجل فتاتي أن يبدو موتي طبيعيا حتى لايتهم زوجي . لذلك وجدت في تلك الفكرة التي رسمتها يا "جرمين" فكرة القيام بنزهة على صخرة "ماتيلدا" ، وجدت فيها ما يحقق غايتي وغايتك معا . فإن زلة القدم والسقوط من فوق هذه الصخرة هو أمر مألوف لا يثير شكاً وهكذا غادرني "جاك" وقصد إلى الكابين ، وفي نيته أن يلحق بي عند صخرة "ماتيلدا" كما تم الاتفاق بيننا .

ولكن حدث أثناء سيره إلى الكابين أن سقط منه المفتاح . فلاحقت به لكي أساعده في التفتيش عنه . وإذ ذاك فقط يا "جرمين.." وبسببك أنت . بل بسبب تصرفك . فكرت في ارتكاب هذه الجريمة . ذلك أن "جاك" ما كاد ينحني للبحث عن المفتاح بين رمال الشاطئ وهو إلى جانبي ، حتى سقطت حافظة أوراقه دون أن يفتن إليها .

ولقد سقطت مع الحافظة صورة فوتوغرافية عرفتُها في الحال . فهي صورة يرجع تاريخها إلى هذه السنة فقط وهي تمثلني مع فتاتي الصغيرتين .

إنك يا "جرمين" أكثر من يعرف ماذا رايت في هذه الصورة .. فإنك قد نزعرت رسمي منها واحللت رسمك مكانه .. رايت أمامي وجهك يا "جرمين" وكانت إحدى ذراعيك تلتف حول عنق ابنتي الكبرى أما ذراعك الأخرى فقد كانت مدلاة في حجرك . إنك كنت يا "جرمين" .. امرأة زوجي . والام المستقبل لابتني الصغيرتين .. وإنك ستقولين تربيتهما .

ويحك يا "جرمين" .. لماذا تعجلت الحوادث على هذا النحو ؟ ألم يكن في وسعك أن تعتصمي بحبل الصبر والانتظار ؟ لماذا احدثت في الصورة مثل هذا التبديل ؟ لقد كان مشهدها كافيا لكي يفقدني صوابي ويخرجني عن حالتي الطبيعية .. وكان الخنجر معي .. ورايت "جاك" منحنيا .. فلم أتمالك نفسي فأغمدته في ظهره

أملت "تيريز" بهذه الاعترافات في نبرات تشف عن الصديق . واحس "زينين" و"هورتنس" بتأثر بالغ لم يانسا مثله من قبل ،

فقد كانت هذه اول مرة يسمعان فيها مثل هذه التفصيلات من فم صاحبتهما .

اما "تيريز" فقد خارت قواها او كادت .. واخذت تهذي بكلام مختلف فهموا منه هذه العبارات :

- خيل إلي إذ ذاك ان اصوات الاستغاثة والاستنكار لا تلبث ان تتصاعد من حولي ، وانه سيقبض علي من فوري .. لكن لم يقع شيء مما كنت اتصور .. فقد حدث القتل في ظرف فجائي لم يكن أحد يتوقعه .. وانتصب "جاك" حينما اعتذلت ، دون ان يخر على الرمال صريعا .

اجل لم يسقط "جاك" . لم يسقط بل استوى على قدميه رغم تلك الطعنة التي اصبته بها في ظهره . ولما وقفت لحظة على سلم الكازينو ارقب ما يجري . شاهدته يضع سترته فوق كتفه لكي يخفي وراءها جرحه بلا ريب .. وانشا يتقدم إلى الكابين في إبطاء يسير . كنت الاحظه دون الناس جميعا . لقد تبادل حديثا موجزا مع بعض المعارف ممن كانوا يلعبون الورق . ولم يلبث ان سار راسا إلى الكابين واختفى بداخله .. اما انا فقد عدت إلى منزلي بعد فترة وجيزة .. وقد خيل إلي ان ما وقع ليس إلا حلما مزعجا او كابوسا ثقيلا .. وانني لم اقترف جريمة القتل حقا .. او على الأقل إن الجرح الذي احدثته الطعنة هو جرح طفيف .. وان "جاك" لا يلبث ان يخرج .

ولقد ساورتني في ذلك ثقة بالغة سيطرت على شعوري حتى لقد وقفت في الشرفة فترة طويلة ارقب ما يجري ، ولو خطر ببالي لحظة واحدة . انه في حاجة إلى المعونة لما تردت في الذهاب إليه وإغاثته . لكنني لم اعد افهم ما يجري . فقد خرجت الامور من يدي . ولم اقف على الحقيقة إلا .. وخنقها البكاء حتى لم تستطع ان تكمل عبارتها . فتولى عنها الحديث "رينين" قائلا :

- إلا حين اقبل الناس لإخطارك بالفاجعة .

فقال "تيريز" :

- هو ذاك .. وهناك فقط ادركت حقيقة ما ارتكبت يداي من الجرم

الشنيع وشعرت بانى اكاد افقد صوابي وانى اكاد اصيح في الناس
قائلة :

انا القاتلة .. فلا تكلفوا انفسكم عناء البحث وهاكم الخنجر
الذي ارتكبت به الجناية .. نعم انا القاتلة .. كدت اصيح على
مسمع من الناس بهذه الاقوال.. وإذا ذاك رايت "جاك" التعس ..
زوجي القتل .. محمولا على الاعناق .. كانت تلوح على صفحة وجهه
امارات السكينة وراحة النفس . وعندئذ فقط ابركت واجبي .. فقد
سكت "جاك" ولزم الصمت ، حتى فاضت روحه .. من أجل الابنتين .
هناك حدثتني نفسي ان اسكت كذلك والا اتفوه بحرف واحد عن
الحقيقة .. وإذا كان قد ابرك واجبه في فترة احتضاره ، وقدر
خطورة الموقف ، والثران يغلّق عليه باب الكابين ، وان يلفظ انفاسه
الاخيرة في سكون ، فقد كان يضرب لي بذلك القدوة المثلى ويامرني
بالسكوت والدفاع عن نفسي ضد كل العوامل المحيطة بي . وضدك
انت يا "جرمين" .

تفوهت "تيريز" بهذه العبارة في رباطة جاش . فقد رأت بعد ان
انجلت عنها غمرة الجريمة وثابت إلى رشدها ان عليها واجبا
نحو ابنتيها .. وصممت على النضال والمقاومة امام هذه المرأة
التي انتزعت منها زوجها وكانت تدبر قتلها . وامتلأت نفسها إرادة
قوية وعزما راسخا . اما "جرمين استنح" فقد ظلت طوال هذا الحديث
صامتة لا تنبس بحرف واحد . على انه لم يبد على وجهها ما ينم
عن بائرها او شعورها بشيء من وخز الضمير . ولم تلبث آخر الامر ان
ارتسمت على محياها ابتسامة ساخرة ، كأنها افعمت نفسها جدلا
بما تطورت إليه الامور . ولا غرو فقد اصبحت غريماتها تحت رحمتها
واخيرا تناولت "جرمين" قبعتها ، ونظرت في مراة واصلحت
من هندامها . ثم اتجهت إلى الباب تهم بالخروج . فاسرعت إليها
"تيريز" تعترض طريقها قائلة :

- إلى اين تقصدين ؟

- إلى حيث اشاء .

- اذهبين لمقابلة قاضي التحقيق ؟

- ربما .
- إذن فلن أدعك تخرجين من هنا ..
- حسنا .. إذن فسابقى ..
- وستطلعيه على ما وقفت عليه من البيانات؟
- بالتأكيد .. ساقص عليه كل ما سريته الآن .. فقد سمعت منك كل ما يجب الوقوف عليه .. هناك قبضت عليها "تيريز" من كتفيها وراحت تهزها وهي تقول:
- بل ساقدم له طائفة من البيانات تقتصل بك يا "جرمين" ..
- وإذا ضاع كل أمل في نجاتي فلن أدعك تغلطين بجلك .
- لايمكنك أن تفعلي شيئا ضدي .
- بل في وسعي أن ابرز رسائلك وأن اتهمك بما جاء فيها .
- أية رسائل ؟
- الرسائل التي تحرض على قتلي والتخلص مني ...
- هذا كذب وبهتان .. فإنك تعرفين "ياتيريز" أن هذه المؤامرة التي تشيرين إليها لاساس لها إلا في مخيلتك .. فلم افكر أنا أو "جاك" في موتك ..
- بل كنت تبشرين موتي .. ورسائلك ابلغ شاهد عليك ...
- هذا إفك وتضليل .. فلم تكن تلك الرسائل سوى مكاتبات بين صديقين ... - بل رسائل عشيقة .. وشريكة ضالعة في المؤامرة ..
- اثبتني ذلك ..
- إن الرسائل هنا . في حافظة اوراق "جاك" .
- كلا .
- ماذا تقولين ؟
- اقول إن هذه الرسائل تتعلق بي، ولذلك استرديتها .. أو على الاصح استردتها اخي .
- إذن لقد سرقتها ايتها الشريرة . لكنك ستردينها إلي . وارتمت "تيريز" بجسمها عليها .. لكن "جرمين" قالت وهي تبسم ابتسامة الظفر:
- إن الرسائل ليست معي .. فقد حملها اخي ..

- لابد ان يريها إلي إذن ..

- لقد ارتحل وغادر هذه البقاع ..

- سوف اهتدي إلى مكانه .

- نعم إن الاهتداء إليه امر يسير .. لكنه لن يمكنك من العثور على الرسائل.. فما اهون تمزيقها وإعدامها . فاستولى الياس على تيريز " .. فلم تدر ماذا تفعل .. وبسطت يديها إلى "رينين" تلتمس العون .

فقال :

- لقد قررت الحقيقة . فقد راقبتها و شقيقتها وشاهدتهما ، يستلان حافظة الأوراق من الحقيبة ويفحصان محتوياتها ، ولم يلبث أخوها ان اعاد الحافظة إلى موضعها بعد ان اخذ منها الرسائل ، ثم انصرف إلى الخارج . وسكت "رينين" هنيهة ثم استطرد قائلا :

- او على الاصح إنه انصرف وهو يحمل خمس رسائل فقط ..خلق رينين " بهذه العبارة وهو يتصنع عدم الاكتراث ، بيد أنه راح يراقب عن كثب تأثيرها في نفس المرأتين .. وهنا دنت كلتاها منه وقد نمت نظراتهما عن الاستفسار عن مجير الرسالة السادسة . فقال "رينين" :
- يلوح لي أنه حينما سقطت حافظة أوراق " جاك امبرفال " فوق الرمال سقطت معها الرسالة السادسة والصورة الفوتوغرافية .. ولكن المسيو "امبرفال " لم يفتن لغير الرسالة فتناولها ووضعها في جيبه .
فهتفت "جرمين" قائلة وقد اشتد اهتمامها :

- أنت على يقين مما تقول ؟

- نعم . فقد عثرت على هذه الرسالة في جيب سترته وهي معلقة بجانبه على فراش الموت .. وها هي ذي الرسالة موقعة بإمضاء جرمين استنج " .. وهي بما تتضمن من إرشادات موجهة إلى العشيق بشأن ارتكاب الجريمة - تقوم بليلا قويا على إثبات نية القتل .
والحق انني عجبت كيف تقدم مخلوقة اوتيت حظا من الفطنة والذكاء على مثل هذا التهور الذي يشف عن إهمال بين ؟ استولى الياس على دمام " استنج " واسقط في يدها ، حتى انها لم تحاول ان تدافع عن نفسها ، بينما استطرد "رينين" بوجه حبيثه إليها قائلا :

- في يقيني يا سيدي أنك مسؤولة عن كل ما وقع ... فإنك حينما
الفيت نفسك خالية الوفاض فكرت في استغلال غرام "جاك امبرفال" بك
ونلك بمحاولة الاقتران به برغم جميع العقبات التي كانت تحول
بينكما . وبهذا تستولين على ثروته وتتصرفين فيها كما يشاء لك
الهوى .. إن معي الدليل على ذلك وفي إمكانني أن ابرزه .. ولقد قمت
أنت بتفتيش ستره " جاك" بعد أن اتممت بحثي ببضع دقائق .. ولقد
تركت لك - بعد أن سبقتك واستوليت على الرسالة السادسة - تركت
لك ورقة صغيرة كنت تبحثين عنها كذلك باهتمام لأنها سقطت من
الحافظة .. وهي عبارة عن شيك بمبلغ ١٠٠ ألف فرنك حرره "جاك
امبرفال" باسم شقيقك . وهو هدية قدمها "جاك" بمناسبة عزمه على
الزواج بك . وإنني فقد وقع الشيك في يدك وسلمته لشقيقك .وقد
انطلق في سيارة إلى (الهافر) بناء على إرشادك ليستولي على المبلغ
من المصرف . لكنني أحب أن أخبرك أنه لن ينال فرنكا واحدا من هذا
المبلغ فإنني أخطرت المصرف تليفونيا بمقتل المسيو "جاك امبرفال"
وبوقف صرف أي شيك يقدم باسمه ... كما أقرر لك كذلك أننا
سمعنا المحادثة التليفونية التي جرت بينك وبين شقيقك في الأسبوع
الماضي باللغة الإسبانية . ومن هذا يتضح لك أننا مطلعون على كافة
الظروف التي تفترن بهذه القضية .. اليس كذلك ؟
كان "رينين" يلقي حديثه في لهجة الواصل المطمئن إلى أنه لا
معقب على قوله . وقد راح يصف الحوادث كما وقعت حقا وينتهي
إلى نتائجها المحتومة .. فلم يكن هناك غير الخضوع لرايه
والاستسلام لما يشير به . فهمت مدام "استنچ" كل هذا ولم يغب
عنها معناه الحقيقي .. فإن امرأة ذكية تدرك جيدا أن من الخير
لها أن تحني رأسها وقت هبوب العاصفة ، وإلا اجتاحتها إذا
اعترضت طريقها .. وإنني فقد وقفت بين يديه في خضوع واستسلام
وقالت :

- إذن فبماذا تشير علي ؟

- غادري هذه النواحي ...

- وإذا طلبت لأداء الشهادة ؟

- لن يهتم أحد بطلبك .
- ولكن .. إذا فرض أنني دعيت ؟
- قولي إنك لاتعرفين شيئا .
فاتجهت إلى الباب . على أنها لم تلبث أن وقفت قائلة :
- والشيك ؟

فهمت مدام " امبرفال " قائلة :

- لتأخذه .. فانا لا أريد هذه النقود . ولم يلبث " رينين " أن لقن مدام " امبرفال " الأقوال التي ستدلي بها أمام قاضي التحقيق .. ثم غادر المنزل بصحبة " هورتنس " . وقد كان قاضي التحقيق ووكيل النيابة على الشاطئ يقومان بالتحقيق والاستجواب . وقالت هورتنس تخاطب " رينين ":

- إنني لا املك إلا أن ارتاع كلما فكرت أنك تحمل في جيبك الخنجر الذي قتل به " امبرفال " وكذلك حافظة نقوده .
فضحك " رينين " وأجابها قائلاً :

- وما الذي يخيفك ؟ اتحسبين في هذا أي خطر . إنني لا أرى في هذا ما يوجب القلق .
- ألا تشعر بخوف ؟
- ومم أخاف ؟

- ألا تخشى أن يرتاب أحد في ظروف القضية ؟

- نعم .. لن يشك أحد في شيء . إننا سنتقدم للشهادة . فنقرر أننا قد شاهدنا " امبرفال " فعلاً حينما كنا جالسين في الشرفة ... ولن يكون من نتيجة هذه الشهادة سوى مضاعفة حيرة المحققين ... على أنه يحسن بنا ألا نغادر هذه البلدة في الحال ، وإنما نقضي فيها يومين أو ثلاثة ... إن لك أن تطمئني وتنفي من ذهنك كل أسباب القلق .. فقد سويتنا كافة الظروف ولن يستطيع أحد أن يهتدي إلى الحقيقة ...

- إنني أرى رغم ذلك أنك قد ادركت كل شيء كما في الواقع منذ البداية .

- نعم و هذا هو الوضع الصحيح للقضية . لقد دخل الرجل إلى

الكابين وأغلق الباب عليه ثم وجد مقتولا. فما الذي وقع حقا؟ لو كنت أقوم بالتحقيق في القضية لأركت على الفور أن الجناية لم ترتكب في داخل الكابين كما يظن ... وأنه لابد أن يكون الرجل قد أصيب بالطعنة القاتلة قبل دخوله الكابين .. وهذا هو ما استنتجته على الفور... فقد أيقنت أن مدام "أميرفال" التي قضي عليها بالموت في هذا اليوم قد استبقت الحوادث ... وأنها قتلت زوجها حينما كان منحنيا يفتش عن المفتاح بين رمال الشاطئ... قتلت في نوبة جنون عارض استولت عليها فجأة وأفقدتها الرشد . فلم يبق علي إذن إلا أن أبحث عن سبب الجريمة .. فلما وفقت إليه تدخلت في الأمر على النحو الذي رأيت ... هذه هي القضية بحذافيرها ..

كان الليل قد بدأ يرخي سدوله على هذه البقعة الجميلة التي سفك الدم بين جوانبها . وخيم الصمت على "رينين" و"مورتنس" فترة وجيزة قطعه "رينين" بقوله :

- فيم تفكرين ؟

فاجابته قائلة :

-إذا قدر لي يوما أن أقع فريسة لمؤامرة ما فلن يخالجنني أدنى ريب في أنك ستحميني بسلطانك القوي وتدفع عني كل سوء ، مهما قام في سبيلك من العقاقيل والعقبات .. نعم إنه ليس هناك حد لإرادتك .

فاجابها "رينين" في صوت خافت قائلا :

- بل ليس هناك حد لرغبتني في العمل على ما فيه رضاك .

الشريط الفاضح

قال "سيرج رينين" :

- انظري يا "هورتنس" إلى الذي يقوم بدور رئيس الخدم ...

فكانت "هورتنس" :

- وماذا فيه مما يلفت النظر ؟

جرت هذه المناقشة بين "رينين" و "هورتنس" في إحدى دور السينما حيث رغبت إليه أن يتوجها لمشاهدة رواية تروقها .

وكانت الممثلة الأولى في هذه الرواية تدعى "روز اندريه" ، وهي اخت "هورتنس" من والدها . وقد وقع خلاف بين الأختين طال أمده حتى أنهما لم تتراسلا عدة أعوام . وكانت "روز اندريه" بارعة الجمال ، احترفت التمثيل على المسرح فلما لم تظفر فيه بما تشتهي هجرته إلى السينما . وبدأ نجمها يبرز وأخذ اسمها يتالق بين أسماء الكواكب والنجوم . وكان اسم فيلمها هذا المساء (الأميرة السعيدة) . لم يجب "رينين" على هذا السؤال الذي وجهته إليه "هورتنس" ، وإنما قال :

- إنني إذا ذهبت لمشاهدة رواية لا تقع من نفسي موقع القبول أخذت اتسلى في أثناء عرضها بمراقبة ممثلي الأدوار الثانوية وهم يؤدون نصيبهم من القصة . وهذا ما جعلني أوجه عنايتي إلى الممثل الذي يقوم بدور رئيس الخدم . وكان مشهد الرواية في هذه الفترة يمثل مائدة حافلة ، وقد جلست (الأميرة السعيدة) على رأس المائدة بين جمع من اصديقاتها وصديقاتها . وراح يقوم على خدمتهم ستة من الخدم تحت إشراف رئيسهم . وهو رجل ضخم الجثة كثيف شعر الحاجبين تشيع القسوة في ثنايا وجهه .

كانت "هورتنس" حينما وقع بصرها على رئيس الخدم :

- إن هيلته تنم عن الإجرام ... ماذا لفت نظرك في شكله ؟

فقال "رينين" :

-انظري كيف يصوب نظرته إلى اختك ... الاترين انه يطيل التحديق إليها أكثر مما يجب ؟

فقالت "هورتنس" وهي تعترض على هذه الفكرة :

-يخيل إلي حتى الآن ...

لكن البرنس "رينين" قاطعها قائلاً :

-من الجلي انه يشعر نحو اختك في الحياة الخارجية بعاطفة لاتمت باقل سبب إلى الدور المجهول الذي يقوم به في هذه الرواية فإنه لا يفتا يصوب إليها نظرات غريبة كلما ظن ان زملاءه في القصة في شغل عنه بادوارهم وكلما وقف جامدا لا يعمل شيئا فتتم هذه النظرات عنه وتلفض سره ... راقبيه بعناية ... كانت الاميرة تشرب كاسا من الشراب وقد وقف رئيس الخدم في مكانه لا يبدي حراكا . وجعل يحرق إليها بعينه اللامعتين ...

ورأى "رينين" و"هورتنس" انه قد صوب إليها هذه النظرات في مناسبتين مختلفتين من القصة ، فعزا "رينين" هذه النظرات إلى اسباب غرامية ، بينما راحت "هورتنس" تلتمس تعليلا لهذه الظاهرة فقالت :

- إن هذه طريقته الخاصة في النظر إلى أي فرد آخر من افراد الرواية . وانتهى القسم الأول من القصة وبدأ عرض القسم الثاني وقد كتبت عنه فوق الستار الفضي هذه العبارة :

" مضى عام والاميرة السعيدة تقيم في منزل منعزل تحيط به المزروعات اليبانة ويقيم معها الموسيقي الفقير الذي اختارته زواجها "

كانت الاميرة سعيدة غاية السعادة بهذه الحياة الوداعة لكن المعجبين بجمالها الفنان وملاحتها الخلابة كانوا يتهافتون في طريقها ما بين راسمالي كبير وفلاح اجير ونبيل خطيروما من احد منهم إلا شغفه حسنهما وودلو يظلمنها بنظرة عطف ...

وقد تفرد من بين اولئك المعجبين رجل يحمل (بلطة) ولا يفتا يدور حول منزل الاميرة كل يوم وقد بدا ان الاميرة في خطر من امر

هذا الرجل المريب

قال "رينين" :

- اتعرفين من هذا الرجل الذي يحمل البلطة ويخرج الآن من

الغابة؟

- كلا .

هو رئيس الخدم .. وقد اسند إليه هذا الدور بعد ان فرغ من القيام بشخصية رئيس الخدم في القسم الاول من القصة .

فصوبت "هورتنس" بصرها إلى هذا الممثل فاندركت على الفور من ضخامة جسمه ومن حركاته انه رئيس الخدم حقا، برغم تلك اللحية التي كانت تحجب معالمه . وخرجت الاميرة من منزلها واختبا الرجل بين الاشجار وكان يبدو على الستارين الفينة والاخرى وقد تطاير الشرر من عينيه وهويلوح (بالبلطة) التي يحملها في يده ... وقالت "هورتنس" :

- ويحه من رجل مخيف .. إنه يبعث الرعب في الحياة الخارجية وفوق الستار الفضي .

فقال "رينين" :

- نعم إنه مخيف لانه يمثل رواية اخرى مستقلة خاصة بشخصه. وفي وسعك ان تلاحظي ان غرامه قد ازداد وتضاعف في الفترة التي انقضت بين تمثيل القسم الاول والثاني وهي لاتتجاوز اربعة اشهر ... ولم تعد الممثلة امامه هي الاميرة وإنما اصبحت "روز اندريه" ...

ومرت الاميرة بين الاشجار ... وتحرك الرجل المتربص بها ... وخيل إليها انها سمعت صوتا ما فاخذت تتلفت حوالها والابتسامة لا تفارق شفتيها ... على انها لم تلبث ان ساورها القلق والتوجس حينما طرق سمعها اضطراب اغصان الاشجار وبرز امامها الرجل الكامن وجها لوجه .. ولقد بسط الرجل ذراعيه كأنما يريد ان يضمها إلى صدره .. فهمت ان تصيح وتطلب النجدة لكن صوتها لم يخرج من حلقها ... واحتواها الرجل بين ذراعيه القويتين وهي لا تجرؤ على المقاومة .. ولم يلبث ان

حملها علي كتفه واخذ يعدوبها . قال "رينين" :

- هل اقتنعت الآن ؟ هل تعتقدين ان ممثلا ثانويا كهذا كان في وسعه ان يحمل الممثلة بمثل هذه السهولة لو انها كانت امرأة اخرى غير "روز اندريه" ؟.

وفي هذه الاثناء بلغ الرجل شاطئ النهر فوجد قارباً في انتظاره فوضع فيه جسم الاميرة التي غابت عن رشدها وفك الحبل الذي كان يربط القارب إلى شاطئ النهر ثم انشأ يهدف مبتعداً إلى أعلى النهر .

وبدا للعيان ثانية وهو ينفذ إلى غابة سحيقة ، حيث قصد إلى كوخ تحيط به الأشجار ، لا يصل إليه الضوء إلا من خلال نافذة صغيرة ، ففتح بابه وانثنى إلى الداخل .. وتعاقبت بعد ذلك عدة مشاهد تبين هياج الزوج حين اكتشف غياب زوجته .. ونهايه للبحث عنها .. وعثوره على بعض اغصان حطمتها الاميرة في الطريق كي يسترشد بها الباحثون عنها ويهتدوا إلى مكانها ..

وتلا ذلك مشاهد النضال التي وقعت بين الاميرة والرجل المتوحش وهي تكاد تفقد قدرتها على المقاومة وتخور قواها .. ثم خرت على الأرض بعد ان تلاشت قواها .. وفي هذه اللحظة ظهر الزوج فجأة واطلق النار على الرجل الوجشي ..

* * *

كانت الساعة قد أدنت بالرابعة حينما خرج "رينين" و هورتنس " من دار السينما .. لكن "رينين" لم يستقل سيارته التي كانت تنتظر في الخارج وإنما امر السائق ان يتبعهما في سيرهما . وقال "رينين" آخر الامر وقد ساد سكون طويل انزعجت له "هورتنس" .

- هل تحبين اخذك ؟

- نعم . إنني شديدة التعلق بها ..

- ومع ذلك فانتما على غير وفاق ..

- بل كان ذلك أيام زواجي .. فهي فتاة لعوب وكنت شديدة الغيرة . ولكن ما الباعث على هذا السؤال ؟

- لا انري . ولكن يخيل إلى بعد مشاهدة هذه القصة . ان ذلك الرجل الذي قام بدور رئيس الخدم في القسم الأول وبور المتوحش في القسم الثاني هو شخص لا يستهان به . فقبضت هورتنس على نراعه وسالته قائلة :

- ماذا تعني بهذا القول ... افصح عن غرضك .. فقال "رينين" :

- افرضي كل ما يحلو لك .. لكنني اميل إلى الاعتقاد بان اختك في خطر من هذا الرجل .. هذا مجرد افتراض ..

- لكنه فرض يستند إلى اسس قوية .. ففي يقيني ان مشاهد الاختطاف الذي قام به لم يكن محض تمثيل .. ولكنه يكاد يقارب الحقيقة .. ولست اشك في انه لوقام باختطافها فعلا في الحياة الخارجية لما كان منظره في الاختطاف الحقيقي يختلف كثيرا عن تمثيله . نعم لقد قام بتمثيل دوره في حدوده المرسومة ولم يلحظ احد شيئا غير عادي . سوى "روز اندريه" .. لكنني لا اكتمك انني قد توسمت في عينيه من النظرات المفعمة بالرغبة الجامحة ما لا يمكن تجاهله او إنكاره . كما لم تغتني حركات يديه المتاهبتين لارتكاب كل شيء .. ودلالات اخرى مختلفة تفضح نية الرجل الذي يضمرفي نفسه اغتيال المرأة التي عجز عن الاستحواذ عليها .. فقالت "هورتنس" :

- ربما كان هذا الوصف ينطبق على الفترة التي مثلت فيها حوادث القصة .. اما الآن وقد انقضت عدة اشهر على ذلك فقد زال كل خطر . - هو ما تقولين لكنني مع ذلك اود ان اقف على بعض البيانات في هذا الشأن ؟

- ومن اين تستمد هذه البيانات ؟

- من (الشركة الدولية) التي قامت بإنتاج الرواية . هذا هو مقر إدارة الشركة ... هل لك أن تنتظري في السيارة ريثما اصعد لأداء هذه المهمة ثم ارجع إليك ؟ وذابى "رينين" كليمان " سائق السيارة ، ثم قصد إلى غايته . وجلست "هورتنس" في السيارة

وهي لا تشك أن تلك المظاهر الغرامية التي بدت في الرواية دليل على كفاءة الممثل وبراعته في القيام بدوره ، ولا يمكن أن تحمل على غير محملها العادي .. وكانت تميل في ضميرها إلى الاعتقاد بأن "رينين" قد أسرف في خياله وتصوراته. ولما رجع إليها سألته قائلة :

- ماذا وراعه؟ هل اهتديت إلى شيء؟ هل توصلت إلى سر جديد؟
فاجاب في هدوء قائلا :

- لقد وقفت على ما فيه الكفاية .

فاضطربت لدى سماعها هذه العبارة . وقالت :

- ماذا ؟ ما الذي توصلت إليه .

فقال "رينين" وقد أخذ الكلام يتدافع من فيه :

- إن هذا الرجل يدعى "دالبريك" ، وهو مخلوق غريب الطباع يؤثر العزلة والابتعاد عن مخالطة زملائه .. ولم يستطع أحد أن يلاحظ في أي وقت في أثناء تمثيل الرواية أنه كان يهتم باختك اهتماما خاصا ...

ومع هذا فقد أعجب القوم ببراعته في تمثيل دوره في القسم الثاني من الرواية ، حتى أنهم تعاقبوا معه على تمثيل رواية أخرى جعل مسرحها في ضواحي "باريس" ... والجميع يمتحنون مقدرته ولا يكتفون إعجابهم به... لكن حادثا غريبا وقع في أثناء ذلك.. ففي صبيحة يوم الجمعة الموافق ١٨ سبتمبر سرق هذا الرجل سيارة فخمة من جراج (شركة السينما الدولية) ... وكذلك مبلغ ٢٥ ألف فرنك ... ولما أبلغ الخبر إلى رجال البوليس عثروا على السيارة في مدينة (دوريه) ...

انصتت "مورتس" إلى هذه القصة وقد شحب لونها . فلما فرغ "رينين" من سردها قالت :

- لكن لا يوجد حتى الآن أدنى صلة بين هذه القصة وبين ذلك الخطر الذي تزعم أنه يتهدد أختي ..

- لقد استفسرت عن مصير أختك "روز اندريه" ، فعلمت أنها قد سافرت في هذا الصيف إلى مقاطعة (أور) حيث قضت

خمسة عشر يوما في منزل تملكه هناك ، وهو نفس المنزل الذي تم فيه تمثيل رواية (الاميرة السعيدة) ...

واستدعيت بعد ذلك إلى امريكا حيث تعاقدا معها ، فاضطرت إلى العودة إلى "باريس" حيث اودعت حقائبها محطة "سان لازار" وغادرتها في يوم الجمعة ١٨ سبتمبر وفي نيتها أن تقضي الليلة في ثغر "الهافر" ، ثم تستقل الباخرة في اليوم التالي ، أي يوم السبت ، إلى امريكا . فتمتعت "هورتنس" قائلة :

- يوم الجمعة ١٨ سبتمبر ... يوافق نفس اليوم الذي سرق الرجل فيه سيارة الشركة واختفى .. الا يكون قد اختطفها ؟ ... فقال "رينين" :

- سنعرف ذلك بعد قليل . وهتف بالسائق قائلا :

- "كليمان" .. سر بنا إلى شركة الملاحه (الاقيانوسية) .. ولقد صعدت "هورتنس" برفقة "رينين" إلى مكاتب الشركة المذكورة وطلبت إمدادها بمعلومات عن شقيقتها فوقفت على البيانات التالية :

حجزت حجرة خاصة على ظهر الباخرة (الإبروفانس) باسم "روزاندرية" لكن الباخرة سافرت إلى وجهتها دون أن تحضر المسافرة المذكورة . وفي نفس اليوم تلقت إدارة الشركة رسالة برقية مؤداها أن "روزاندرية" قد اضطرت إلى التخلف عن السفر على ظهر الباخرة (الإبروفانس) ، وطلبت حجز حقائبها في مخزن الشركة . وكانت هذه البرقية مرسلة من مدينة "بوريه" .

زألت "هورتنس" مقر الشركة وقد ساورها انزعاج شديد ... ولم يكن ممكنا أن تعزو هذه الوقائع كلها إلى المصادفة المحضة . ولا سيما بعد أن صحت استنتاجات "رينين" . وجلست "هورتنس" في السيارة صامتة وقد اطلقت العنان لأفكارها ولم تلبث آخر الأمر أن سمعت "رينين" يامر سائق السيارة بالاتجاه إلى دائرة البوليس . فشقت السيارة طريقها في قلب "باريس" . ثم وقفت امام دائرة البوليس . وغادرها بمفرده فترة ثم عاد إليها وقال وهو يفتح باب السيارة :

- تعالي ... فقالت "هورتنس" وقد بلغ الاهتمام منها غايته :

- ماذا جد من الامور ؟ هل طلبوا منك إجراءات معينة ؟

- كلا . كل ما هنا لك انني كنت أرغب في مقابلة المفتش

موريسيه ، وهو الذي اوفدوه إلي في حادث "ديتريل" ... وإذا كان عند رجل البوليس معلومات في هذا الصدد فسوف أقف عليها منه .

- إذن فلماذا تريد أن تصحبني ؟

- إن "موريسيه" يجلس الآن في مقهى صغير يطل على هذا

الميدان . ولما بلغا ذلك المقهى بخلا إليه وكان مفتش البوليس جالساً

هناك يقرأ إحدى الصحف . فعرفهما في الحال .. شد "رينين" على يده

وقال له بغير تمهيد : - لقد جئتك بقضية مهمة جدية بان تبرز

اسمك .. إنها قضية يحتمل أن تكون قد عرفت شيئاً عنها .

- عن أية قضية تتحدث ؟

- قضية "دالبريك" .. فظهرت على وجه "موريسيه" علامات

الدشنة . وتردد أولاً .. ثم قال في روية :

- نعم .. اعرف شيئاً عن هذه القضية . فقد تحدثت عنها

الصحف وأشارت إلى سرقة سيارة .. ومبلغ خمسة وعشرين

الف فرنك .

بيد أن الصحف ستحدث غداً كذلك عن اكتشاف آخر ما وقفنا

عليه في إدارة الأمن العام . خاص بجريمة قتل ارتكبتها "دالبريك" في

العام الماضي . وأحدثت في تلك الوقت ضجة عظيمة .. أعني بها

جريمة قتل (بورجيه) تاجر الجواهر .

فقال "رينين" :

- إنني جئتك بصدد جريمة أخرى ارتكبتها هذا الرجل .

- فهتف المفتش :

- جريمة أخرى ؟ ما هي ؟

- جريمة اختطاف ارتكبتها في يوم السبت ١٩ سبتمبر .

- اه .. أعلمت كذلك بامر هذه الجريمة ؟

- نعم .

فاطرق "موريسيه" برأسه مفكراً ، ثم قال :

- في هذه الحالة يجب أن أصارك بما أعلم . فقد حدث فعلاً

في يوم السبت ١٩ سبتمبر . ان ثلاثة من الاشقياء ، انقضوا على إحدى السيدات في أحد الشوارع واختطفوها في رابعة النهار وفروا بها في سيارتهم باقصى سرعة .

وقد اشارت الصحف إلى هذا الحادث . ولكنها لم تذكر اسم السيدة ولا اوصاف خاطفيها . وهذا هو السبب في ان الحادث ظل محاطا بالغموض . ولكن اتفق انني قصدت امس إلى (الهافر) مع بعض رجالي . وهناك استطعت معرفة أحد الاشقياء الثلاثة ... ومنه عرفت الحقيقة وهو ان مدبر سرقة السيارة ومبلغ الخمسة والعشرين الفا من الفرنكات واختطاف السيدة .. هو "دالبريك" .

اما السيدة التي اختطفت . فلم نعرف عنها شيئا . ولم نقف لها على اثر .. وقد ذهبت سدى جميع الجهود التي بذلنا ها لمعرفة مصيرها . او أي شيء عنها .

وخيم على الثلاثة سكون طويل وهم جلوس حول المائدة .. وجعلت "هورتنس" تصوب إلى "رينين" نظرات تنم عن الاستعطاف والابتهال ، وقد شحبلونها وبدأت عليها امارات القلق والاضطراب .

قال "رينين" يسائل "موريسيه" :

- قلت إن الذين اختطفوا السيدة في السيارة كانوا ثلاثة رجال؟

- نعم .

- وهل اهتديتم إلى اثار ترشد إليهم في (دوريه) ؟

- لقد اهتدينا إلى اثار رجلين فقط .

- وهل كان أحدهما "دالبريك" ؟

- لاأظن . فإنه لم يقم دليل على ذلك . وساد سكون طويل .. قطعه "رينين" آخر الأمر قائلا :

- وهل تركت زملاك في (الهافر) ؟

- نعم تركت هناك اثنين من المفتشين .. وسالحق بهما غدا في بلدة (كودبيك) حيث نقضي سواد الليل . وقد فهمت من بعض البيانات التي وردتني أخيرا ان "دالبريك" يختبئ في هذه البلدة الواقعة

على ضفة نهر "السين" اليمنى . فقال "رينين" في عزم ووثوق :
- إذن فسانذهب إلى هذه البلدة غدا يا حضرة المفتش .. وسوف
اسلمك هذا الرجل ..

* * *

وفي اليوم التالي غادر "رينين" و "هورتنس" باريس في سيارة
كبيرة يقودها السائق "كليمان" .. وقد قطعا رحلتها في صمت
تام لم يتبادلا خلاله كلمة واحدة .. وكانت "هورتنس" رغم ثقها
الكبيرة في "رينين" قد قضت ليلتها فريسة للقلق والهواجس ..
وراحت تفكر في كنه هذه المغامرة الجديدة . ومرت السيارة في
طريقها بمدينة (روان) ثم تابعت سيرها على الضفة اليسرى من
نهر "السين" . ولما انتصف النهار نزلا بأحد الفنادق الريفية حيث
تناولا طعام الغداء . فلما فرغا أخرج "رينين" من جيبه خريطة
كبيرة تبين الطريق بالتفصيل .. فبسطها فوق المائدة وأخذ
يدرسها . وأشار إلى الطريق الذي يتعين عليهما أن يسلكاه حتى
يصلا إلى غابة (البريتوان) ثم قال :

- لقد علمت حينما قصدنا معا إلى إدارة (شركة السينما
الدولية) أن رواية (الأميرة السعيدة) قد مثلت في غابة
(البريتوان) . وقد خطرت ببالي الآن هذه الفكرة : ألا يحتمل أن يكون
"البريك" حينما مر في طريقه بغابة (البريتوان) بعد أن اختطفت
"روزاندرية" ، قد رأى أن من الخير أن يختبئ فيها بينما يعود زميلاه
إلى باريس ؟ إن الكوخ الذي شاهدناه في أثناء تمثيل الرواية كائن هنا
فلم لا يقصد إليه ؟ وهو الكوخ الذي حمل إليه منذ بضعة أشهر تلك
المرأة التي يهيم بها ويذوب شوقا للاستئثار بها .. وقد كانت إذ ذاك
بين يديه وفي متناول قبلاته ..

وإذا كان قد قام بتلك المغامرة إذ ذاك في عالم التمثيل ..

فقد اتضح له أخيرا أن يقوم بها في عالم الحقيقة ، لكن هذه المرة
تختلف عن سابقتها .. فليس هناك من ينقذ "روزاندرية" من بين يديه
كما انقذوها في أثناء تمثيل الرواية .. فإن الغابة شاسعة مترامية
الاطراف .. ولاشك أن "روزاندرية" قد بدأت تفقد الأمل في نجاتها .

هنا ارتعدت " هورتنس " وقالت :

- اواه " يا "رينين" .. أرجو الا نكون قد جئنا بعد فوات الاوان .

- وما الذي يملكك على هذا الظن ؟

- لقد انقضى على اختطافها ثلاثة اسابيع .. فهل تعتقد انه يتركها في سجنها طوال هذه المدة ؟

- كلا بالتأكيد فإن البقعة التي ارشدوني إليها تقع في مكان مطروق.

ولكنني اعتقد اننا سنجدهما في مخبا آخر ..

وما كاد ينقضي نصف الساعة على هذا الحديث حتى شارفا غابة (البريتوان) فإذا هي غابة مترامية الأطراف تلوح عليها شواهد القدم وتنتشر فيها معالم القرون الوسطى .

ولما كان " رينين " يعرف الغابة جيدا فقد قاد السيارة إلى داخلها ثم أوقفها قرب شجرة ضخمة معروفة .. وترجل الاثنان واستانفا السير على الاقدام . وقال " رينين " :

- هلمي من هذه الناحية .. إن الكوخ غير بعيد عن هنا .

وبلغا في سيرهما ممرا ضيقا بين الأشجار المتشابكة ، وما لبثا ان اهتديا إلى الكوخ عند نهايته ..

وبخل " رينين " وحده تلك الكوخ واضاء مصباحه الكهربائي وراح يقلب بصره بين جوانبه ويفحص الاسماء المختلفة التي نقشت على جدرانها .. واخيرا عاد إلى " هورتنس " وخاطبها قائلا :

- لم اهتمد إلى اي شيء في الداخل يا " هورتنس " .. لكن هاك الاثر الذي كنت أبحث عنه .. فإنه إذا كانت الذكرى القريبة قد اجتذبت دالبريك إلى هذا الكوخ الذي مثلت فيه رواية (الأميرة السعيدة) فإن " روزاندرية " قد استغلت كذلك هذه الذكرى . وكسرت بعض الأغصان كما فعلت في الرواية ، كي ترشدبها إلى الطريق الذي سلكه خاطفها . فقالت " هورتنس " :

- حسنا .. قد أسلم معك بان هذا دليل على مرورهما بهذا المكان ولكن تاريخ هذا الدليل يرجع إلى ثلاثة اسابيع .. والآن .. فقطاعها " رينين " قائلا :

- إن اختك سجينه الآن في مكان آخر بعيد عن هذه البقعة .

- او انها قد قتلت ..

فقال "رينين" وهو يضرب الأرض بقدميه :

- كلا . كلا .. فليس مما يسيغه العقل أن يجثم الرجل نفسه كل

هذا العناء . ثم ينتهي به الأمر إلى ارتكاب جناية قتل تافهة ... وإنما

أرى أنه يستخدم مع فريسته كل وسيلة ممكنة لجعلها على

الخنوع ، كالتهديد والتجويع وما إليهما .

- ماذا نفعل إذن ؟

- فلنبحث عنها .

- كيف ؟

- يحسن بنا في هذا الصدد أن نسلك نفس الطريق الذي اتبع

في رواية (الأميرة السعيدة) .. وإذن فلنفتش أرجاء هذا الطريق من

أوله إلى آخره .. وقد شاهدنا في تلك الرواية أن الرجل الوحشي

حمل الأميرة الأسيرة إلى هنا بعد أن عبر بها نهر "السين" .. وهذا

النهر يبعد عنا الآن بما يقارب كيلو مترا واحداً .. فلنقصد إذن

إلى هذا النهر .. واتجها على الفور صوب النهر، وراح "رينين" في

أثناء سيره يفحص بعينه كل ما يحيطه ، ويتلفت هنا وهناك كأنه

كلب الصيد أطلق في أثر طريدته .. بينما كانت السيارة تتبعهما

عن كثب .. ومرا في طريقهما ببعض منازل متناثرة .. فخرج "رينين"

على أحدهما وأخذ يستفسر صاحبه . فعلم منه أنه قد افتقد قاربه

منذ ثلاثة أسابيع .. في يوم الثين .. فلم يجده .. وأخيرا عثر

عليه في بقعة نائية تبعد كثيرا عن موضعه الأول ..

فقال "رينين" :

- هل عثرت على هذا القارب قرب الكوخ الذي مثلت فيه في

الصيف الماضي رواية سينمائية ؟

- نعم .

- وهل هذا هو المكان الذي نزلوا فيه بالمرأة بعد اختطافها ؟

- نعم .. نزلوا فيه (بالأميرة السعيدة) .. او بالأحرى بالسيدة

"روز اندريه" .. صاحبة المنزل المعروف باسم (الخلوة اللطيفة) .

- وهل هذا المنزل الذي كانت تقيم فيه مفتوح الآن؟

- كلا .. فقد سافرت السيدة منذ شهر وأغلقتة .

- ألم تترك به حارسا ؟

- كلا .

وعاد رينين إلى "هورتنس" وهو يقول :

- لم يبق هناك أدنى ريب في أن هذا المنزل هو السجن الذي اختاره الشقي لحبسها بين جدرانها . وبدأت المرحلة المهمة من هذه المطاردة .. تقدمت بهما السيارة على امتداد نهر السين ، حتى شارفت منزل "روژ أندريه" المعروف باسم (الخلو اللطيفة) .. فإذا النباتات المتسلقة تحيطه من كل جانب .. وما كاد "رينين" و "هورتنس" يبصران هذا المنزل حتى عرفا فيه ذلك المنزل الذي شاهدها في رواية (الأميرة السعيدة) . كانت نوافذ المنزل محكمة الإغلاق .. وقد انتشرت الأعشاب في الممرات المؤدية إليه .. مما يدل على أنه هجر من زمن طويل . واختبا "رينين" و "هورتنس" في بقعة في الغابة وراحا يرقبان المنزل منها زهاء ساعتين .. أما "هورتنس" فقد بدأت ثقتها بـ "رينين" تضعف .. ولم تشأ أن تعتقد أن هذا المنزل يمكن أن يستخدم سجنًا لأختها .

- بل أؤكد لك أنها هنا .. ومحال أن يكون "دالبريك" قد تخير مكانا آخر لسجنها . فإنه يظن أنه باختيار هذا المكان الذي تعرفه حق المعرفة يحملها على الخضوع له والتسليم .. وطرق سمعها آخر الأمر صوت وقع أقدام صابر من ناحية المنزل ... وكان الصوت يدنو ببطء وتناقل . وبدأ لهما شبح في الطريق لم يستطيعا أن يتبيناه على وجه التحديد .. لكنهما أنسا في مشيته تلك الهيئة التي تميز بها الرجل الوحشي في رواية (الأميرة السعيدة) .

وهكذا استطاع "سيرج رينين" في فترة لا تتجاوز ٢٤ ساعة أن يتوصل بملاحظة قوية أبقاها في دارالسينما الى عقدة الجريمة . وتبين آخر الأمر أن "دالبريك" قد مثل على مسرح الحياة مقام بتمثيله بين مشاهد الرواية واستطاع "رينين" باقتفاله

الطريق الذي جرت فيه مشاهد الرواية خطوة خطوة ان يهتدي إلى المكان الذي احتجزت بين جوانبه (الأميرة السعيدة) .

وقد شاهد "دالبريك" ممسكا بيده سلة تظهر منها زجاجة ورغيف من الخبز ، بينما كان يحمل فوق كتفه تلك (البطة) التي حملها في الرواية كذلك .

ودفع "دالبريك" باب المنزل الخارجي ، واتجه إلى باب جانبي تحجبه الأشجار عن العيان .

وهمت "هورتنس" بأن تتبعه . ولكن "رينين" أمسك بيدها وحال بينها وبين الذهاب .. فتمتعت قائلة :

- يجب الانترك هذا الوحش يدخل إلى المنزل وإلا..

- ولكن ما قولك إذا كان له شركاء يعاونونه أو كان هناك اعوان يراقبون المنزل؟

- ليكن ما يكون . فيجب ان ننقذ اختي قبل كل شيء .

- لكنه قد يقتلها إذا لم نصل في الوقت المناسب .. فعملت

هورتنس برايه .. وبقيتا في مكانهما يترقبان حتى انقضت ساعة اخرى . وقد اقلقهما ما يخيم على المنزل من سكون مطبق . بينما راحت "هورتنس" تخرج منديلها بين حين وآخر فتكفكف به دموعها المنحدرة . واخذ الليل يرخي سدوله .. وعلى حين غرة فتح باب مقابل وطرقت سمعهما اصوات تدل على الفرع والتوجع ممتزجة بعبارات تنم عن الفشوة والظفر .. وما لبثا ان شاهدا رجلا وامراة.. فلما امعنا النظر شاهدا الرجل يطبق على المرأة ويحملها بين ذراعيه.

وتمتعت "هورتنس" قائلة :

- هاهو ذا . نعم ها هوذا مع "روز" .. اواه "يارينين" .. اتوسل

إليك ان تخلصها من بين يديه . وراح "دالبريك" يعدو بين الأشجار وهو يحمل المرأة بين ذراعيه . وكان يضحك ويصيح كالمجنون .. واخذ يقفز قفزات واسعة برغم ذلك الحمل الذي يرفعه بين يديه .. فكانت هيئته إذ ذاك اقرب إلى هيئة وحش من ابطال القصص الخرافية . قد اسكرته نشوة الظفر بفريسته . واخلى الرجل إحدى

بيديه فامسك بها (البلمبة) المصوقة .. بينما حمل المرأة باليد الأخرى .. وجعلت "روز" تلن من فرط ما أصابها من الفزع .. وسار بها مسافة طويلة حتى أدرك بثرا في الطريق . فكف عن السير فجأة.. وانحنى فوق البئر كأنه يهم بالقاء فريسته في قاعها على أنه حينما رأى أن تهديده المرأة لم يثمر عابئها أدراجه إلى المنزل واختفى في داخله بعد أن أغلق الباب خلفه على أن "رينين" لم يتحرك من موضعه . وهنا تعلقت "هورتنس" بثيابه وقد امتلات نفسها هلعا وراحت تستعطفه قائلة :

- انقذها بريك . إنه مجنون . سوف يقتلها . اتوسل إليك "يا رينين" . وسمعا من جديد استغاثة المرأة صادرة من داخل المنزل ، فابقنا أنه يعذبها ويسيء معاملتها ..

ترى هل ينوي حقا أن يقضي عليها ؟ أو أنه يهددها فقط حتى تخضع لإرادته ؟ وكف صوت الاستغاثة بعد ذلك ولا يبعد أن تكون الفتاة اللتعة قد كفت عن المقاومة وخضعت . ولم تلبث "هورتنس" أن أمسكت بيد "رينين" ، ف شعر بها باردة كأنها قطعة من الجليد .. فقالت تخاطبه وهي ترتجف : آواه . اتوسل إليك أن تنقذها . ماذا تنتظر ؟ فقال "رينين" يطمئنها :

- ليس هناك ما يدفعنا إلى التسرع . بل يجب أن نفكر أولا ..
- نفكر ؟ ولكن "روز" . "روز" . ماذا تصنع إزاء هذا الرجل إنه سيقضي عليها .

ولم يجد "رينين" بدامن العمل .. فغادر مخبأه وعاون "هورتنس" على السير ، وقد كانت تسقط إعياء واضطرابا حتى ولجا باب الحديقة .. وكان الظلام في هذه اللحظة قد تكاثف فجعل يتقدمان باطمئنان دون خوف من رقيب أو مفاجيء .. ودارا حول المنزل دون أن يتبادلا كلمة واحدة حتى أدركا الباب الخلفي الذي شاهدا دالبريك ينفذ منه أول مرة .. ولكنهما وجداه مغلقا . ومع أن "رينين" كان يستطيع أن يفتح الباب دون كبير عناء فقد أثار أن يعود أدراجه حتى يراقب ما يدور في الناحية الامامية من المنزل . وهتفت "هورتنس" مرتاعة :

- إنني لآستطيع أن أفهم شيئا مما يدور في الداخل .. فقال
"رينين" : - ولكنني بدأت أفهم .. وعادا إلى واجهة المزل وشرعا
بزيحان النباتات المتسلقة والأغصان المدلاة التي تغطي
الجدران حتى كشفا آخر الأمر عن نافذة من نوافذ الدور الأول
وهناك قال "رينين" :

- أصفي .. إنهما يتحدثان .. إن الصوت ينبعث من هذه الغرفة
وحاول "رينين" أن يراقب ما يجري من خلال النافذة . ولكنه
لم يستطع أن يبصر شيئا .. وما لبث أن أخرج من جيبه مديّة
صغيرة كان يحملها وراح يعالج فتح النافذة بها حتى وفق
أخيرا ولكنه رأى ستارا يحجب عن عينيه كل ما وراءه ..
همست "هورتنس" في آذنه :

- اتصعد فوق حافة النافذة ؟

فقال "رينين" :

- نعم . وساحطم زجاجها إذا اقتضى الأمر واصوب مسدسي إلى
"دالبريك" وتسلق "رينين" حافة النافذة في حذر شديد وأخذ يرفع
هامته شيئا فشيئا حتى استطاع أن يرسل بصره بين فرجة
الستار ، وشاهد بذلك ما كان يجري في الداخل وكان ممسكا بإحدى
يديه مسدسا وبالأخرى مديّة خاصة في طرفها قطعة من الماس
تستخدم في شرح الزجاج . فسأله "هورتنس" :

- هل ترى شيئا ؟

فألقى "رينين" جبهته بزجاج النافذة . وما لبث أن بدرت منه
صيحة مختنقة وقال :

- اه . أيمكن أن يصدق الإنسان عينيه ؟

فهمت "هورتنس" قائلة :

- أطلق النار . أطلق النار .

- كلا كلا .

فوضعت "هورتنس" قدمها على حافة النافذة فأمسك "رينين"
بيدها وساعدها على الوقوف بجانبه وقال :
- انظري .

فأسندت "هورتنس" رأسها إلى زجاج النافذة وما لبثت أن هفت.
- اه -

فقال "رينين":

- ما رأيك في هذا؟ لقد كنت اعتقد أن وراء الأكمة ما وراءها. لكني
لم أتوقع مثل هذا الذي نرى.

كان في الحجرة مصباحان صغيران ونحو عشرين شمعة
تنشر بين أرجائها ضوءا كافيا وقد انتشرت في أرجائها مقاعد
شرقية مختلفة واكتست أرضها ببساط سميك .. وقد استلقت
"روز أندريه" فوق أحد هذه المقاعد وتمددت في الثوب الذي
مثلت به رواية (الأميرة السعيدة). وكانت عارية الكتفين ترصع
شعرها طائفة من الجواهر واللآلئ. أما "دالبريك" فكان يرتدي
ثياب العبيد. وقد جلس عند قدميها فوق إحدى الوسائد ..
وداح يرسل إليها نظرات تشف عن الوله .. فتبتسم له "روز" في
غبطة تامة وتداعب بيدها شعر رأسه. وقد انحنت فوقه مرتين،
فقبلته في جبهته ثم لثمت شفثيه ... وهو يكاد يذوب وجدا
ويجن جوى وغراما. كان المشهد يبعث على التأثر الشديد. ولم يكن
هنالك أبنى ريب في أن هذه النظرات التي يتبادلانها وتلك
الرنوات وتلك الجو الغريب الذي يسود الحجرة إنما ينبئ
عن حب عنيف وغرام مضطرم.

لم تستطع "هورتنس" أن تحول بصرها عن هذا المشهد الذي لم
تكن تتوقعه ..

أيمن حقا أن يكون هذا العاشق الموله هو ذلك الرجل الذي
شاهدته من أمد قصير يحمل هذه المرأة بين أطواء الغابة ويرقص
بها رقصة الموت؟ إنها تكاد تفكر أن هذه المرأة الممددة على المقعد
هي اختها حقا. فإنها لم تكذ تعرفها إذ أنست فيها امرأة أخرى،
ذات جمال طريف. امرأة تحركها عاطفة مريبة تسيطر على
مشاعرها سيطرة تامة. وتمتمت "هورتنس" قائلة:

- يا إلهي الشد ما تحبه ! .. إنها تذيب وجدا وغراما بهذا
المخلوق القبيح ... أيمن هذا حقا ؟ ..

وهبط "رينين" إلى الأرض وحمل "هورتنس" إلى ظل شجرة نائية كما حمل "دالبريك" "روز" .. ولما اجلسها أخذت ترتجف كأنما سرى في جسدها تيار كهربائي .. وقال "رينين" وهو يفرك كفيه ويضحك :

- هذه مفاجأة غريبة .. اليس كذلك ؟

ولما لم تجبه بحرف استطرد يقول :

- بلى . هذه مفاجأة تبعث على أشد العجب .. فإن "روز اندريه" خرة طليقة ... تنعم بالغرام : ومع من ؟ مع رجل الغابة المتوحش .. وهي تلثم شفثيه بشغف . بينما نقوم نحن بالبحث عنها في قاع بئراو كوخ مهجور . لا ريب أنه استطاع أن يؤثر عليها بعد أن اذاقها من العذاب الوانا .

ولا ريب أنه قد استحال بعد ذلك في عينيها حلو الصورة جميل المحيا . إن من يبصرهما لا يشك في أنهما عاشقان متفانيان . قد لجأ إلى هذه البقعة النائية بعيدا عن أعين الرقباء . حتى يستأثر كلاهما بصاحبه دون أن يزعجهما أحد . يا إلهي ! من كان يظن أن "روز اندريه" في هذا المكان .. في هذه الخلوة اللطيفة (حقا .. لاشك أنهما يستمتعان بشهر العسل .. ولقد خيل إلي حين وقع بصري عليهما لأول وهلة أنهما يمثلان قصة جديدة .. وأنهما في هوليوود مدينة السينما والحرية .. وأن هذا المشهد الذي تقع عليه أبصارنا ليس إلا أحد المشاهد التي سنشهد ما قريبا في القصة الجديدة . إن الواقع الذي يمثل على مسرح الحياة وفوق الستار الفضى هو أن المرأة تناضل حتى الموت ذلك الذي يرغب في الاعتداء عليها حتى الموت .. فكيف كان يمكن أن نفترض عكس هذه القاعدة . واستحوطت هذه القصة على نفس "رينين" فاستطرد قائلا :

- كلا . كلا .. إن المسائل لا تسوى على هذا النحو حتى في الروايات السينمائية . ولا شك أن ذلك ما أوقعني في الخطأ .. فإنني سرت منذ البداية على هدي وقائع قصة (الأميرة السعيدة) . لكن "روز اندريه" لم تلبث أن انتقلت من هذه الشخصية التي عرفناها على الستار إلى عاشقة مولها ، مما يغير

الواقع مغايرة تامة .

لقد خدعتنا يا " دالبريك " . إذ اظهروك لنا على الستارفي صورة الرجل الوحشي على حين انت في الواقع عاشق من الطراز الاول . نعم . لا شك ان " دالبريك " رجل ظريف . لطيف المعشر . ولا شك انهم إذا اهتموا إلى قاتل " بورجيه " تاجر الجواهر لوجدوه شخصا آخر غير " دالبريك " . وجلس " رينين " إلى جانب " هورتنس " وطلب إليها ان تمسك بيدها مصباحه الكهربائي ، فلما فعلت راح يسطر رسالة موجزة قراها بصوت مسموع كما يلي :

" إلى السيدة روزاندرية " .

" سيدتي .

" إن صديقا ناصحا يخطرك بأن البوليس يبحث عن مسيو دالبريك " لأسباب لا شك أنك تعرفينها . ليس هناك أقل خطر حتى الآن لأن رجال البوليس يفتشون على الضفة الأخرى من نهر السين " في جهة (كودبيك) . وهذا مما يمهّد لكما سبيل الفرار إلى غرب فرنسا . وفي وسعكما إذ ذاك أن ترحلا إلى أمريكا متفرقين . وسوف توفقان هناك إلى العمل الذي خلقتما من أجله وسوف ينسى الناس كل شيء على مر الأيام .. وتقبلي احترامي " .

فقال " هورتنس " :

- وماذا تنوي أن تفعل الآن ؟

فقال " رينين " :

- سأعود إلى باب المنزل الخلفي . فانس الرسالة من أسفل الباب ثم اضغط على الجرس وانصرف .. ورجع إليها بعد قليل وهو يفرك كفيه ارتياحا وقال :

- لقد تم كل شيء . ضغطت على الجرس واختبات .. ففتح الباب . ولاحظت أنهما عثرا على الرسالة وعليهما أن يتصرفا الآن على الوجه الذي يروقهما .

وعاد " رينين " و " هورتنس " إلى (كودبيك) في الساعة التاسعة وتوجه رينين " لمقابلة المفتش " موريسيه " وخاطبه قائلا :

- لم اهتم إلى شيء .. وربما رحل دالبريك " إلى ألمانيا .. وسوف اهتم بالبحث عنه ، وساطلعت على ما يتم .. لكنني ضعيف الأمل في النتيجة . فلهذا "موريسيه" رأسه هزة الأسف وقال :

- إن حظي ليس خيرا من حظك . وعاد "رينين" و" هورتنس" إلى "باريس" في مساء تلك الليلة . وقد جلسا في السيارة صامتين . وما لبث "رينين" أن قال :

- مهما يكن من أمر ، فقد أدركت الحقيقة من أول الأمر حينما كنا في دار السينما ، وإن كنت قد أخطأت في متابعة بعض التطورات ، والحق أنه لايسعني إلا أن أهيب لك كل مرة مغامرة ناجحة على طول الخط وعلى كل حال فإنك قد تأثرت بهذه المغامرة الظريفة حتى لقد أبكتك ، وزادتك تعلقا بي ولجوءاً إلي واعتمادا علي .

فارتجفت " هورتنس" وتندت عيناها بالدموع ، فقد أدركت أن "رينين" يشير إلى مغامرتها الأولى التي ربطت بينهما برباط وثيق وما كان تتابع الحوادث إلا ليزيد هذه الرابطة وثوقا .

وكان منظر أختها العاشقة وهي تداعب حبيبها في وله قد أثر في نفسها تأثيرا عميقا .. فجلست بدورها تضطرب إلى جانب هذا الرجل الذي يكيف الحوادث بإرادته تكييفا على النحو الذي يروقه . ويسيطر على مصائر الذين يحتكون به ممن يناضلهم أو يبسط عليهم حمايته ..

كانت " هورتنس" تشعر نحو "رينين" برغبة وحب معا ..

وكانت تتطلع إليه أحيانا كما تتطلع إلى ناصرها الوحيد وحاميها القوي .. ثم لا تلبث أحيانا أخرى أن تحس برغبة إلى البعد عنه والحذر منه .

الجنون فنون

وقعت في باريس في فترة وجيزة سلسلة عجيبة من الجرائم الغامضة .. كان من المحتمل أن تظل أبدا خافية .. لولا أن شاعت الظروف والأقذار أن يضع البرنس "رينن" أصبعه على هذه الجرائم . فيميط اللثام عنها بالمهارة التي عرفت عنه . وفيما يلي التفاصيل :

حدث في خلال ثمانية عشر شهرا .. أن اختلفت من باريس وضواحيها خمس نساء تتراوح أعمارهن بين العشرين والثلاثين وعرف عن أولئك النساء الخمس أنهن ينتمين إلى طبقات مختلفة .. وأنه لا يمكن أن تكون هناك صلة بينهن .. اللهم إلا فيما انتهت إليه مصائرهن وأولى أولئك النسوة تدعى مدام (لادو) وهي زوجة طبيب معروف . والثانية تدعى الأنسة (اردان) وهي ابنة أحد رجال المال والأعمال . والثالثة عاملة تشغيل في (كوريفوا) وتدعى الأنسة (كوفيرو) . والرابعة تدعى الأنسة (هونورين فرنيسيه) وتشتغل صانعة ملابس . والخامسة فنانة تشتغل بالرسم والتصوير وتدعى مدام "جرولينجر" .

اختلفت أولئك النسوة الخمسة ولم يهتد البوليس إلى معرفة السبب الذي غادرن من أجله بيوتهن . أو السبب الذي منعهن من العودة . وقد حدث في كل هذه الحالات الخمسة . أن جثة المرأة المختفية كانت توجد في مكان ما في غرب باريس .. وكان اكتشاف الجثة يحدث دائما في اليوم الثامن بعد اختفاء صاحبته .

وقد دل الفحص الطبي في جميع الحالات .. على أن الوفاة حدثت بضربة أصابت الجمجمة فهشمتها . على أن الضحية كانت دائما تجوع حتى يتركها الهزال الشديد ثم تضرب وهي نائمة بالمطرقة فتموت في الحال .

وكان رجال البوليس يجدون دائما بالقرب من كل جثة آثار

عجلات تدل على ان الجثة نقلت بواسطة إحدى المركبات وقد عجز رجال البوليس والمحققون عن إدراك كنه هذه الجرائم بيد انه كانت هناك حقيقة ثابتة لا تحتمل شكاً او جدلاً . وهي ان الجرائم الخمسة ارتكبت جميعها بطريقة واحدة . وفي ظروف متشابهة . وان الفاعل في جميع الحالات هو نفس الشخص .

كذلك كان الدافع إلى الجريمة غامضاً مجهولاً .. والواقع .. انه لم يعثر على شيء من الحلي أو النقود مع جميع النساء اللاتي وجدت جثثهن .. ولكن ذلك لم يكن معناه حتماً ان الجرائم الخمسة ارتكبت بقصد السرقة .. إذ يحتمل ان يكون بعض قطاع الطرق وعابري السبيل قد عثروا بالجثة ملقاة على جانب الطريق.

فجربوها من الحلي .. وجربوا الثياب من النقود .

وتسائل المحققون ، ترى هل الباعث على ارتكاب هذه السلسلة المخيفة من جرائم القتل هو حب الانتقام ، او ان هناك شخصاً يطمع في الاستيلاء على ميراث ضخم فلم يجد إلى ذلك سبيلاً غير إبادة من هم احق منه بذلك الميراث ؟! صغوة القول : إن هذه الجرائم ظلت محفوفة بأشد الغموض ، وهم المحققون بحفظها وتسجيلها ضد مجهول أو مجهولين . لولا ان حدث فجأة حادث شحذ همهم . ونشطهم مرة أخرى للبحث عن المجرمين.. اما هذا الحادث الفجائي .. فهو ان احد عمال تنظيف الشوارع عثر على بفر صغير . فحملة إلى اقرب مركز للبوليس كما هو متبع في مثل هذه الأحوال . وقد ظهر من فحص هذا البفر ان جميع صفحاته بيضاء خالية من الكتابة عدا صفحة واحدة . وجد بها اسماء النسوة الخمسة اللاتي اختفين ثم وجدت جثثهن وقد وضع امام كل اسم رقم خاص هكذا مدام "لاو" ١٣٢ - الأنسة "فرنيسيه" ١١٨ الخ . ولم يكن ثمة ما يدعو إلى شدة الاهتمام بالامر في البداية .. لان جميع الناس كانوا قد قرعوا في

الصحف أسماء الضحايا فليس غريبا إذن أن يكون هناك من أراد تتبع سلسلة هذه الجرائم الخفية ومعرفة عددها ولكن الأمر الذي لغت النظر . هو وجود اسم سانس عقب أسماء الضحايا الخمسة . وهو اسم (الأتيسة - ويليامسن) وأمامه رقم ١١٤ . وقد ظهر من التحريات التي قام بها رجال البوليس على اثر هذا الاكتشاف . أن هناك ممرضة إنجليزية تدعى " هيريتاويليامسن " كانت تعمل في خيمة إحدى العائلات ثم تركت الخدمة منذ خمسة عشر يوما بقصد العودة إلى إنجلترا .. وأن شقيقاتها في لندن انتظرنها بغير جدوى فلم تصل وثبت أنها لم تبحر فرنسا .

واهتم رجال البوليس بالأمر . ونشطوا للبحث عن الممرضة المختلفة وأخيرا عثر أحد المارة على جثتها في غابة (ميدون) وأثبت البحث الطبي أنها قتلت بضربة مطرقة هشمت جمجمتها تهشما . ونقلت إلى الغابة في مركبة بنفس الطريقة التي نقلت بها سابقاتها .

ومن تحصيل الحاصل أن نصف شعور الفزع والذعر الذي ملا قلوب الناس حين قرعوا قائمة الضحايا مسجلة بخط القاتل في دفتر خاص كما يسجل التاجر إيراداته ومصرفاته . ومما ضاعف اهتمام الرأي العام بهذه الجرائم الفظيعة الغامضة أن الخبراء الذين فحصوا الخط الذي كتب به أسماء الضحايا في ذلك الدفتر قرروا بصفة قاطعة أنه خط (امرأة .. مثقلة شديدة الحساسية تميل إلى الغنون) .

وعلى اثر ذلك بدأت الصحف تنشر انباء التحقيقات في هذه الحوادث تحت عنوان " جرائم المرأة ذات المطرقة " واثار تقرير الخبراء اهتمام علماء النفس . وكان بين الذين اهتموا بهذه الجرائم الغامضة مخبر صحفي شاب .. وفق بعد طول البحث والفحص والتفكير ومقارنة تواريخ اختفاء الضحايا إلى معرفة

سر الأرقام المسجلة امام اسم كل من الضحايا .
كان كل رقم يدل على عدد الأيام التي انقضت بين كل جريمة
وأخرى ، أي أن القاتلة كانت تسجل سلفا الموعد الذي قررت فيه
ارتكاب جريمتها التالية بدليل أنها سجلت امام اسم المريبة
الإنجليزية رقم ١١٤ .

وقد اذاع الصحفي الشاب هذا الاكتشاف البارع . واثبتت
مقارنة تواريخ الجرائم صحته ودقته . ولما كانت المريبة
الإنجليزية قد اختفت في يوم ٢٦ يونيو فقد كان من المرجح أن
ترتكب القاتلة جريمتها السابعة بعد ١١٤ يوما ، أي في يوم ١٨
أكتوبر وقد حار المهتمون بتحقيق هذه الجرائم في تعليل
اختلاف المدة بين كل جريمة وأخرى . ولكنهم اولوا هذا
الاختلاف بأن القاتلة ربما كانت تصدر في أعمالها عن شهوة
إلى سفك الدماء تملكها في فترات تستطيع هي وحدها أن
تحدها وتكيفها .

وكانت النتيجة أن رجال البوليس وقراء الصحف باتوا يرقبون
يوم ١٨ أكتوبر بفارغ الصبر . وأشارت بعض الصحف إلى أن
هناك إجراءات اتخذت لمنع ارتكاب الجريمة السابعة التي قررت
المراة ذات المطرقة ارتكابها في اليوم التالي .

ففي مساء يوم ١٧ أكتوبر تناول البرنس "رينين" وصاحبه
هورتنس " طعام العشاء في الشقة الأنيقة التي استأجرتها
هورتنس " بالقرب من حديقة (مونسو) وكان من الطبيعي بعد
الطعام أن يدور الحديث بينهما حول الجريمة المنتظرة . فقال
رينين " ضاحكا :

- كوني على حذرك " هورتنس " وإذا قابلتك المراة ذات المطرقة
فتجنبي طريقها .

فسالته " هورتنس " :

- وإذا اختطفني هذه السيدة الطيبة القلب فماذا يكون ؟

فاجاب "رينين" وهو لا يزال يضحك :
- إذا فعلت فإنها تهين لك اظرف فرصة لتذوق الذانواع
المغامرات .

واتفق الاثنان على اللقاء في الساعة التاسعة من مساء اليوم
التالي لمشاهدة التمثيل في مسرح (الجيمناز) .
وقد قضى "رينين" بعد ظهر اليوم التالي في قراءة الصحف
بدقة . ولكنه لم يعثر بين انبائها على حادث اختطاف جديد .
وحوالي الساعة التاسعة قصد "رينين" إلى الموعد المتفق عليه
مع "هورتنس" فلم يجد صاحبه فانظرها فلم تحضر فاتصل
بها تليفونيا في دارها فاجابته وصيقتها بانها لم تعد .
وهناك استولى الذعر على رينين لأنه كان يعلم عن "هورتنس"
حرصها على مواعيدها ، فقصد لتوه إلى دارها ، وهناك قالت
له الوصيقة إن "هورتنس" غادرت المنزل في الساعة الثانية
وبيدها رسالة قالت إنها ستضعها بيدها في صندوق
الخطابات .
ولكنها لم تعد بعد ذلك . سالها "رينين" : ولئن كتبت هذه
الرسالة ؟

- إنني قرأت عليها اسمك وعنوانك يا سيدي .

وانتظر "رينين" صاحبه حتى انقصف الليل ، عندئذ يئس
من عوبتها فقصد إلى دارها وقال للوصيفة :
- لا تذكرى لأحد أن سيبتك اختفت ، وإذا سئلت عنها فقولى
إنها ذهبت إلى الريف عند عمها ، وأنك ستلحقين بها . ولم
يبق لدى "رينين" شك في وجود صلة بين اختفاء "هورتنس"
وتاريخ ١٨ أكتوبر المحدد لارتكاب الجريمة السابقة .
قال يحدث نفسه :

- تفاصيل الجرائم السابقة تدل على أن القتل بضربة المطرقة كان يحدث دائما بعد أسبوع من الاختطاف ، فإمامي إذن ستة أيام على الأقل للبحث عن "هورتنس" والعثور عليها ، وإذا تركنا يوما للطوارئ غير المنتظرة ، كانت المهمة التي لدي لا تتجاوز خمسة أيام ، أي أن "هورتنس" يجب أن تكون حرة طليقة قبل الساعة التاسعة من مساء يوم الخميس المقبل .

وقد سجل هذا التاريخ بحروف ضخمة على ورقة أمامه وشرع في العمل .

دخل غرفته . وأوصد بابها بعد أن أمر الخادم بالأيذعجه مهمما كانت الظروف والا يبق الباب إلا إذا حان موعد تناول الطعام . وقضى البرنس "رينين" بقية الليل وهو يفكر ويعصر ذهنه .. ويبحث عن الطريقة التي يستطيع الاهتداء بها إلى مقر "هورتنس" . أو معرفة المزيد من أمر تلك المرأة السفاكة التي يصفونها بذات المطرقة .

* * *

ولم يبرح "رينين" غرفته طيلة الأيام الثلاثة التالية .. وأوقف كل اهتمامه على قراءة الصحف التي صدرت منذ ارتكبت الجريمة الأولى .

وانقضت هذه الأيام دون أن يصل "رينين" إلى نتيجة ودون أن يقف على أثر أو حقيقة يتخذها نبراسا في تلك الظلام الذي يحيطه .

وعلى الرغم من ثقته بنفسه فإن الخوف كان يقبض قلبه وكانت تمر بجسده قشعريرة قوية كلما فكر في أن "هورتنس" قد تنتهي إلى مثل ما انتهت إليه سابقتها كان هذا الخاطر يعذبه أيما عذاب .

ذكر أنه ألف عشرة هذه الصبية وأصبح يشعر كأنها جزء من كيانه لا غنى له عنه . كانت تلك المحنة محكا لشعوره حيال "هورتنس" ولم يكن قبلا يتصور أنه يعطف على هذه الصبية

ويحبها إلى هذا الحد .

على أنه لم يقطع الأمل من إنقاذها فاقبل على الصحف يعيد قراءتها وعلى الجرائم يستعرضها ويحللها .

وفي مساء ذلك اليوم . تناول "رينين" قائمة الضحايا وقرا الأسماء . وانتعشت أماله لأول مرة منذ اختفاء "هورتنس" .

تبلج له شعاع رتب على ضوئه الخطة التي يستطيع العمل بها فجلس إلى مكتبه ، ووضع صيغة إعلان صغير بعث به مع سائق سيارته "كليمان" إلى جميع الصحف الكبرى . ثم أنفذ "كليمان" في مهمة أخرى ، إذ أمره بالذهاب إلى (كوريغوا) حيث كانت تعمل الأنسة "كوفيرو" . وهي الضحية الثالثة من ضحايا السيدة ذات المطرقة .

ولم يبرح "رينين" غرفته يوم الثلاثاء . ولكنه تلقى في ذلك اليوم رسائل عدة ردا على الإعلان الذي أذاعه في الصحف . ثم تلقى ثلاث برقيات والظاهر أن هذه الرسائل والبرقيات لم تحرك اهتمامه .

وحوالي الساعة الثالثة مساء حمل إليه البريد رسالة عليها خاتم مكتب بريد (تروكاديرو) فقلب هذه الرسالة بين يديه مرارا وفحص الخط الذي كتبت به .. ثم عمد إلى مجموعة الصحف التي بين يديه . وراح يفتش عن شيء . وأخيرا قال لنفسه :

- اظن أن في الإمكان الاتجاه في هذا السبيل . وعمد إلى (ليل باريس) فاخذ يتصفحه ، ثم وضع أصبعه أخيرا أمام اسم (مسيو فانو من حكام المستعمرات . رقم ٤٧ شارع كليبر) وارتدى ثيابه بسرعة ووثب إلى سيارته وأمر السائق بقوله :

- إلى شارع كليبر رقم ٤٧ يا كليمان .

وطلب "رينين" مقابلة مسيو "فانو" فادخله الخادم إلى غرفة استقبال مؤلفة بنوق سليم . وما هي إلا لحظة حتى أقبل عليه

مسيو "فانو" وهو رجل طويل القامة في نحو الأربعين من عمره قد
لفحت شمس المستعمرات وجهه فبادره "ريثين" بقوله :

- سيدي .. إننى جئت الآن لأنني قرأت في إحدى صحف العام
الماضي أنك كنت تعرف إحدى ضحايا السيدة ذات المطرقة وأعني
بهذه الضحية الأنسة "هونورين فرنيسيه" ، فأجابه مسيو "فانو" :

- هذا صحيح ، إننا عرفنا هذه الفتاة التحسة لأن زوجتي
استخدمتها في صنع بعض الثياب .

- سيدي . إن امرأة من صديقاتي قد اختفت كما اختفت قبلا أولئك
الضحايا الستة .

فهتف مسيو "فانو" قائلاً :

- احقا تقول ؟! ولكنني كنت اتتبع الصحف بعناية شديدة وأنا
وافق من أنها لم تنشر اختفاء أحد في يوم ١٨ أكتوبر وهو اليوم
الذي كان ينتظر أن تختفي فيه الضحية الجديدة للمرأة ذات
المطرقة .

- بل لقد اختفت في ذلك اليوم سيدة في مقتبل العمر تدعى مدام
"دانييل" . - واليوم ٢٤ أكتوبر .

- نعم .. ومعنى ذلك أن الجريمة سترتكب بعد غد .

- هذا مخيف .. يجب منع ارتكاب هذه الجريمة مهما كانت
الظروف .

- ربما استطعت منع هذه الجريمة المخيفة بمساعدتك ياسيدي .

- هل أبلغت الأمر إلى رجال البوليس ؟ .

- كلا ياسيدي .. لأن الحادث مخاف بالغموض ولا أرى فيه

مفعلاً أو ضوءاً يستعين به رجال البوليس . وقد سبق أن ارتكبت
ست جرائم مماثلة لم يهتد البوليس إلى إمالة اللثام عن
إحداها وليس هناك ما يدعو إلى الاعتقاد بأن حظ رجال البوليس
سيكون هذه المرة أفضل مما كان في المرات السابقة . نعم يا

سيدي .. إننا أمام عدو على جانب عظيم من المهارة والحنكة يعرف كيف يرتكب جرائمه دون أن يترك أي أثر يدل عليه .

- وماذا فعلت إذن ؟

- إنني قضيت أربعة أيام في تفكير مستمر . فتامل مسيو "فانو" حديثه عن كتب ثم قال له في تهكم :

- وماذا كانت نتيجة هذا التفكير الطويل ؟ فاجابه "رينين" دون أن يعبا بتهكمه :

- كانت النتيجة أنني استطعت أن ألم بنواحي هذه الجرائم المأمة لم تتج لأحد قبلي ، وأن أرد الأشياء إلى أصولها ، وأعرف الطائفة التي ينتمي إليها الشخص الذي يرتكب جرائم كهذه لا يمكن أن يفيد منها مرتكبوها .

- وإلى أية طائفة رددت المرأة ذات المطرقة ؟

- إنني رددتها إلى طائفة المجانين يا سيدي .

- فهش مسيو "فانو" وهتف :

- إلى طائفة المجانين ؟ يا له من رأي عجيب ؟

- إنني اعتقد الآن يا سيدي أن المرأة ذات المطرقة مجنونة .

- إذا كانت مجنونة كما تقول ، فهي بغير شك محجوزة في أحد

المستشفيات أو المصحات .

- ومن أترانا أنها ليست محجوزة في مكان ما ؟ ومن أترانا أنها

ليست معبودة ضمن أنصاف المجانين الذين تفترض فيهم الدعابة فيعفون من الرقابة الشديدة وتتاح لهم بذلك فرصة إشباع غرائزهم وميولهم التي قد تكون لها في بعض الأحيان صبغة وحشية .

إن جرائم المرأة ذات المطرقة إذا دلت على شيء فعلي الإنانة والإصرار والحمق وهذه الصفات جميعها ، ولا سيما صفة الإصرار والتكرار هي من أهم ما يمتاز به المجانين .

إن أكثر المجانين ، أو كلهم تخالجهم دائما فكرة ثابتة

يصرون عنها في كل ما يفعلون ، وهذه الفكرة الثابتة وما يترتب عليها من إصرار هي من أهم أركان الجنون .

إن إجراءات هذه المرأة المجنونة متشابهة في جميع جرائمها فهي تجتنب إليها ضحاياها بطريقة مما زلنا نجهلها . ثم تشد وثاقهن بطريقة معينة . وتقتلن بعد ثمانية أيام بواسطة مطرقة تهشم بها جماجمهن .. أما المجرم العادي .. فتتغير إجراءاته ووسائله تبعا للظروف . وهو لذلك عرضة للوقوع في خطأ قد يؤدي إلى اقتناصه .. بخلاف هذه المرأة المجنونة .. فإن يدها لا ترتجف .. وقد حذقت صناعتها فبات يتعذر تورطها في خطأ ينم عنها .

ومتى سلمنا جدلا بأن هذه المرأة مجنونة ... وانها ترتكب فظاعاتها بطريقة ميكانيكية كما تدق الساعة دقاتها في المواقيت المقررة . متى سلمنا جدلا بذلك .. هان علينا فهم الغرض من هذه الجرائم .. او بمعنى آخر حق علينا أن نعتقد بأن هذه الجرائم لم ترتكب لغرض معين . فقال مسيو "فانو" :

- الواقع أن هذا التعليل معقول . ولكن إذا سلمنا بصحته . فكيف نبرر طريقته في اختيار ضحاياها ؟؟ ولماذا تختار نبيحة لها هذه المرأة دون تلك ؟ . إنك تلقي علي ياسيدي سؤالا القبيح على نفسي مرارا طيلة هذه الأيام الأخيرة . نعم .. لماذا اختارت هذه المجنونة "هورتنس" دون الملايين من النساء ! ولماذا وقع اختيارها على الأنسة فرنيسيه .. والأنسة "ويليامسن" ؟ وما الصفة المعينة التي وضعتها هذه المجنونة نصب عينيها وتوافرت في جميع ضحاياها ؟؟

- هل وجدت تعليلا لذلك ؟

- نعم ياسيدي إنني وجدت التعليل من أول لحظة بمجرد إلقاء نظرة سطحية على قائمة أسماء الضحايا وهذا التعليل قائم على ذات النظرية الأساسية واعني نظرية الإصرار والفكرة الثابتة عند المجانين .

إن نظرة واحدة على أسماء الضحايا تدلّك يا سيدي على أن جميع هذه الأسماء تبدأ بحرف الهاء (هـ) فأحدى الضحايا تدعى " هونورين " والثانية تدعى " هيلين " والثالثة تدعى " هرملين " والرابعة تدعى " هليار " والخامسة تدعى " هليجارت " والسادسة تدعى " هريرتا " والسابعة تدعى " هورتنس " فحرف الهاء هو الحرف الذي يلفت نظر هذه المجنونة الالمة .. ولكن ماذا بك يا سيدي؟ يخيل إلي أنك تتألم؟ والواقع أن وجه مسيو " فانو " امتقع فجأة وتجمعت حبات العرق على جبينه . وغمغم قائلا :

- كلا يا سيدي . ليس بي من شيء . كل ما في الأمر أن قصة هذه الجرائم أزعجتني وقد كنت أعرف إحدى الضحايا ولذلك ..

وارتج عليه القول فصمت قليلا ثم استطرذ :

- لنسلم جدلا بصحة نظريتك لماذا فعلت بعد ذلك؟

- نشرت اليوم بجميع الصحف الكبرى إعلانا هذا نصه

طاهية بارعة تطلب عملا العنوان " هرمين بشارع " هوسمان "

وقد تعمدت أن يبدأ الاسم بحرف (الهاء) وطلبت إلى الصحف أن تنشر اسم " هرمين " بحروف كبيرة تلفت النظر وهنا سأل مسيو " فانو " في قلق :

- وهل لفت الإعلان نظر المرأة ... ذات المطرقة؟

- لقد كتبت إلي بعض السيدات يطلبن إلي أن أعمل في خدمتهن

كطاهية ولكن لم أقم وزنا لغير رسالة واحدة جاءتني بعد ظهر اليوم .
من ؟

- خذ واقرا يا سيدي . وقدم إلى مسيو " فانو " الرسالة التي

تسلمها أخيرا .. فأختطفها هذا الختطافا .. وألقى نظرة على التوقيع . وظهرت عليه أولا علامات الدهشة .

ولكنه ما لبث أن انفجر ضاحكا .

سأله " رينين " :

- لماذا تضحك .

ياسيدي ؟

فهتف مسيو "فانو" وهو لا يزال يقهقه :

- إنني اضحك لأن هذا التوقيع هو توقيع زوجتي .. ومن المضحك أن يتطرق إلى ذمك أن زوجتي هي المرأة ذات المطرقة .

ولاحظ "رينين" أن الرجل قد ظهرت عليه حقا علامات الارتياح الصحيح فسأله :

- هل كنت تخشى أن يكون كاتب هذه الرسالة شخصا آخر ؟

- كلا .. ولكن مادامت الرسالة من زوجتي فإن .. وكف عن الكلام

فجأة .

ونظر إلى البرنس "رينين" بحدة ثم استطرد بلهجة جدية :

- عفوا ياسيدي .. قلت لبي إنك تسلمت رسائل عدة ردا على الإعلان

الذي نشرته في الصحف .. فلماذا خطر لك أن رد زوجتي دون الردود

جميعها يحتمل أن يرشدك إلى الحقيقة ؟

- لأنني قرأت في ذيل الخطاب اسم مدام "فانو" و "مدام" "فانو"

كانت تستخدم إحدى الضحايا كصانعة ثياب . واعني بالضحية

الآنسة "هونورفين فرنيسيه" .

- من قال ذلك ؟؟

- إن الصحف اذاعت ذلك غداة العثور على جثة الفتاة التعمسة .

- ألم تحضر إلى هذا المنزل بأي دافع آخر ؟

- كلا .. ولكن شعوري بانني وقعت على أثر مفيد .. هذا الشعور

قد ازداد منذ وضعت قدمي في هذا المنزل ؟

- كيف ذلك ؟

- لا اعلم .. هذا شعور داخلي .. مقتنن ببعض ملاحظات

سريعة . فهل استطيع مقابلة مدام "فانو" ؟

- زوجتي ؟ بالتأكيد .. لقد كنت اقترح عليك هذا . لترى بعيني

راسك أن زوجتي ليست مجنونة .

قال ذلك . وطلب إلى "رينين" أن يتبعه فاجتازا رواقا فسيحا .

انتهى بهما إلى غرفة استقبال صغيرة . وجدا فيها سيدة
شعراء جميلة تداعب أطفالها الثلاثة .
وقد نهضت السيدة حاملا راتهما . فقدم إليها زوجها البرنس
"رينين" ثم سالها :

- هل أنت التي بعثت بهذه الرسالة يا "سوزان" ؟ ورات الرسالة
في يده فهتفت في الحال :

- تعني رسالتني إلى الأنسة "هرمين" بشارع "هوسمان" ؟ نعم .
انت تعلم أن طاهيتنا تركت الخدمة منذ يومين . واننا في حاجة إلى
طاهية أخرى .

فقال "رينين" :

- عفوا يا سيدتي . ولكن كيف عرفت عنوان هذه الطاهية ؟
فاحمر وجهها ولكن زوجها قال بإصرار :

-اجيبي يا "سوزان" ممن عرفت هذا العنوان ؟

- فترددت الزوجة لحظة ثم اجابت : من مربيتك العجوز ، إنها
اتصلت بي تليفونيا . فقاطعها زوجها :

مربيتي "فكتورين" ؟

- نعم .

وهنا قطع مسيو "فانو" الحديث فجأة وعاد بالبرنس "رينين" إلى
الغرفة الأولى دون أن يسمح له بإلقاء أسئلة أخرى . قال له :

- هانت ترى يا سيدي انه كان من الطبيعي جدا أن تطلب
زوجتي طاهية أخرى غير التي تركت خدمتها ومن المؤكد أن
مربيتي "فكتورين" وهي عجوز نقيم في ضواحي "باريس" وتنفق
من مرتب ضئيل اوقفته عليها ما بقيت على قيد الحياة .. اقول
من المؤكد أن مربيتي "فكتورين" قرأت الإعلان الذي نشرته فاتصلت
بزوجتي تليفونيا . وصمت لحظة ثم عاد فاستطرد وهو يحاول
الابتسام

- والان هل تعتقد أن زوجتي هي المرأة ذات المطرقة ؟

- كلا .

- إذن فلنعتبر الموضوع مفروغا منه ، لقد افسحت لك صدري منذ البداية . ومن دواعي أسفي أنني لا أستطيع الآن مساعدتك بشيء . قال ذلك وأوما بإصبعه نحوالباب كأنه يود أن يعجل زائره بالانصراف . وهم "رينين" بالخروج ولكن حانت منه نظرة فجائية إلى وجه مسيو "فانو" فالفاه منقلب السحنة شاحب اللون . نظر إليه طويلا كما ينظرالإنسان إلى خصم له يوشك أن يتداعى وينهار . واصبحت صدمة واحدة كافية لأن تهدمه .

فامسك بساعده بقوة وقال له بصوت اجش :

- يا مسيو "فانو" إنك إذا لم تتكلم ، وإذا لم تفصح بما عندك ، فإن "هورتنس دانيل" ستقتل شر قتلة ..

- ولكن ليس عندي ما أقوله ياسيدي ..

- بل عندك ما تقوله ياسيدي ، هناك أشياء تعرفها ولا تريد أن تقولها ، والدليل على ذلك ما أرى الآن من دلائل خذلانك وتداعيك ، إنني جلست لمجرد الاستعلام ، ولكني اشعر الآن بأن في استطاعتك أن توفرعلي الكثير من المتاعب والآلام ، فتكلم ياسيدي فالوقت ثمين .

- وماذا يحملني على الصمت ياسيدي ، إذا كنت أعرف شيئا؟
- ربما تصمت تجنباً للفضيحة ، إنني اشعر بأن في حياتك ناحية تريد أن تسدل عليها ستارا . فلم يجب مسيو "فانو" .
اقرب منه "رينين" خطوة أخرى . وقال وهو يحدق إلى عينيه :
- تكلم يا سيدي وقل الصدق ، وثق بأنه لن تحدث فضيحة . إنني يهمني كما يهكم أن يبقى كل شيء طي الكتمان . لأنني أحب هورتنس دانيل . ولا أريد أن يتصل اسمها بهذه الجرائم المخيفة .

- أنت مخطيء ياسيدي . إنك تتصورأشياءلا وجود لها .
وهنا ملك "رينين" شعور بأن هذاالرجل إذا أصر على صمته

الأحمق هلك " هورتنس دانيل ". استولى عليه غضب شديد فاطبق بيده على عنق " فانو " ودفعه دفعة قوية على الأرض . صاح بصوت كالرعد :

- كفى كذبا ، إن حياة امرأة في خطر ، فتكلم ، تكلم او ..

* * *

وقد جربت هذه الهجمة الفجائية مسيو " فانو " من إرانبته فغمغم :

- الحق معك ، من الإنسانية والواجب ان اعترف لك بكل شيء ، مهما حدث بعد ذلك .

- لن يحدث شيء . ادعك بالا يحدث شيء بشرط ان ننقذ " هورتنس دانيل " فتكلم ، وتجنب الإسهاب ، إن دقيقة واحدة قد تكلفها حياتها . تكلم . واسرع .

فجفف مسيو " فانو " العرق المتصبب من جبينه وقال في هدوء :

- إن " سوزان " اعني السيدة التي رايتها الآن والتي قلت لك إنها زوجتي ، هذه السيدة ليست زوجتي الشرعية اما زوجتي الشرعية التي لها دون غيرها كل الحق في ان تحمل اسمي وتنتمي إلي ، هذه الزوجة الشرعية قد اقترنت بها عندما كنت موظفا صغيرا في المستعمرات . كانت امرأة غريبة الأطوار ، ضعيفة القوى العقلية ، شديدة الانفعال سريعة الحساسية . وقد رزقت من هذه الزوجة بتوعمين . كانت تحبهما حب عبادة . وقد اثر وجود هذين التوعمين في حالتها النفسية والمعنوية تاثيرا عجيبا . ولكن حدث ذات يوم ان كان التوعمان يلعبان امام المنزل فمرت سيارة فصدمتها معا صدمة قضت عليهما تحت سمعها وبصرها فجنت المسكينة في الحال وكان جنونها من ذلك النوع الصامت الهادئ الذي تحدثت عنه في التو واللحظة . واتفق بعد ذلك انني نقلت إلى وظيفة في بلاد الجزائر فجئت بزواجتي إلى فرنسا ووضعتها في حراسة امرأة عجوز امينة تدعى

فكتورين " كانت قد توفرت على تربيتي منذ صغري . وبعد عامين عرفت سوزان "عاشرتها معاشرتها الأزواج و أنجبت منها هؤلاء الأطفال الثلاثة الذين رايتهم وجميع الناس يعتقدون أن سوزان هي زوجتي فهل اضحي بها ؟ وهل اضحي بحياتها وكرامتها واقضي على مركزها في الهيئة الاجتماعية بإذاعة الحقيقة وتلويث سمعتنا بالاعتراف بعلاقتنا بهذه الماسي الجنونية الدامية ؟

وصمت الرجل ففكر "رينين" لحظة ثم سأل :

- وما اسمها ؟ أعني ما اسم زوجتك الشرعية ؟
- اسمها "هرمانس" .

- "هرمانس" : أرايت أن اسمها يبدأ بحرف الهاء ؟

- هذا صحيح ؛ لقد لاحظت ذلك عندما اوضحت أنت وجهه نظرك . وتذكرت في ذات الوقت أنها مجنونة ، فرايت أن الأدلة قوية ولم يبق عندي شك في أنها المرأة ذات المطرقة . وهذا هو سبب اضطرابي ، وانزعاجي .

- ولكن بم تعلل ارتكابها هذه الجرائم المخيفة ؟؟ : هل تعاني من محنتها كثيرا ؟؟

- إنها عانت أشد الآلام فيما مضى . أما الآن فإنها لاتعاني كثيرا . كانت تتراءى لها دائما جثتا التوعمين اللذين هلكا أمام عينيها .. ولم تكن الماساة تبحر ذهنها ليلا أو نهارا .. ففقدت نعمة النوم . فتصور هذا ! إنها لم يغمض لها جفن قط منذ هلك طفلها .. وهذا الأرق الدائم هو في اعتقادي الدافع لها على ارتكاب جميع الجرائم ..

- لست أفهم الصلة بين الأرق والجريمة .

- أنت لا تفهم .. لأنك لست مجنوناً .. ولأن أحدا لا يعلم ما يدور بخلاف المجانين . - ولكن .. ما الصلة بين الأرق والجريمة ؟؟ ففكر مسيو " فيانو " لحظة ثم قال :

- حسنا .. ساوضح لك هذه الصلة على قدرما أستطيع . لقد حدث ذات يوم منذ عامين أن مربيتي "فيكتورين" وجدت نائمة لاول مرة منذ قتل التويمان .. ولكنها كانت نائمة وبين يديها جثة كلب صغير خنقته بأصابعها وقد تكرر هذا الحادث ثلاث مرات . فكانت "فيكتورين" كلما جاءت بكلب لحراسة المنزل .. وجذته بعد يوم او ايام مخنوقا بجانب زوجتي النائمة .. وقد فهمت من ذلك أن عملية قتل الحيوان تحدث في نفسها من الانفعالات ما يخدر اعصابها . ويلقي بها في لجة النوم بعد هذا الأرق الطويل .. فعمدت إلى الكلاب تقتلها الواحد تلو الآخر . ولكن لم يخطر لنا ببال في أي وقت أن يزين لها جنونها قتل الأدميين كما كانت تقتل الحيوانات ..

- وهل كان نومها يستمر طويلا ؟

- نعم . كانت تنعم بالنوم ليالي عدة .. وفي اعتقادي أن الأرقام التي وجدت مسجلة أمام أسماء الضحايا تدل على عدد الايام التي صور لها عقلها السقيم أنها ستهنا فيها بالنوم العميق عقب ارتكاب الجريمة .

فهتف "رينين":

- هذا مخيف .. هذا مخيف .. هلم بنا إليها .

واندفع الاثنان نحو الباب .. ولكنهما كادا يصلان إليه حتى دق جرس التليفون . تردد مسيو "فانو" لحظة . قال :

- إنها "فيكتورين" تتكلم من هناك ...

- فيكتورين ؟؟ مربيته ؟؟

- نعم .. إنها تتصل بي تليفونيا في مثل هذه الساعة من كل يوم كي تنقل إلي أنباء زوجتي .. وتناول إحدى السماعتين وقدم السماعة الثانية إلى البرنس "رينين" . الذي راح يهمس في أذنه بالأسئلة التي يتعين عليه أن يلقيها على المربية . وفيما يلي نص الحديث :

- اهذه انت يا "فكتورين" ؟؟ كيف حالها ؟؟

- إنها على ما يرام ياسيدي

- هل تنام نوما هادئا ..

- لقد كان نومها مضطربا في الايام الاخيرة ... واستولى عليها الارق ليلة امس فلم يغمض لها جفن .. ولاحظت عليها في صباح اليوم التجهم وعدم الاستقرار ..

- وماذا تفعل الآن ؟؟

- إنها في غرفتها .

- انهبي إليها يا "فكتورين" .. ولازميها ولا تدعيها تغيب عن

بصرك .

- هذا مستحيل ياسيدي .. لأنها أغلقت الباب من الداخل .

- كلا يا "فكتورين" .. لازميها . حطمي باب غرفتها واخلي ..

ساحضر حالا .. الو .. الو .

يا لله .. لقد قطعت المكالمة التليفونية . هلم بنا . وورق الرجلان من الباب بسرعة البرق .. وهبطا السلم . حتى إذا نفذا إلى الخارج دفع "رينين" زميله إلى داخل السيارة وساله :

- أين تقيم زوجتك ؟؟

- في (فيلا إفراي) .

فصاح "رينين" بسائق سيارته :

- اسرع يا "كليمان" ... إلى (فيلا إفراي) بسرعة البرق . ولما

انطلقت بهما السيارة تذهب الأرض نهبا .. التفت "رينين" إلى مسيو

فانو" وقال له :

- إنك حملت نفسك مسؤولية جسيمة ياسيدي ... لماذا تترك

مخلوقة مفترسة كهذه المرأة بعيدة عن الرقابة ؟؟

فلم يجب مسيو "فانو" . كان ياسه .. وامتقاع وجهه .. وارتجاف

يديه ... ليللا على ندمه واسفه ... غمغم بعد لحظة :

- إنها خدعتني ياسيدي .. كنت أراها دائما هادئة وبيعة ...

وبعد ... فإنها كانت ولا تزال تقيم في أحد المستشفيات .

فهاتف "رينين" :

- في أحد المستشفيات !!! كيف استطاعت إذن أن ..

- إن المستشفى الذي تقيم فيه يتكون من عدة منازل صغيرة
تفصل بينها حدائق مترامية . والمفزل الصغير الذي تقيم فيه
يقع في أحد أركان الحديقة . وهو يتكون من الغرفة التي تقيم
فيها " فيكتورين " . وغرفة زوجتي "هرمانس" . وهناك بعد ذلك
غرفتان أخريان منعزلتان تطل نوافذ إحداهما على الحقول . وفي
اعتقادي أنها جعلت من الغرفة المطلة على الحقول سجنًا
لضحاياها .

- والمركبة ؟ المركبة التي اعتادت أن تنقل فيها جثث قتلاها ؟

- إن اصطبل المستشفى حيث توجد المركبات والخيول قريب
من منزل زوجتي . ولا شك أن "هرمانس" اعتادت أن تلقي بالجثث
من النافذة . ثم تشد أحدا الجياد إلى إحدى المركبات . وتنتقل في
مهمتها الليلية المخيفة .

- والمربية .. "فيكتورين" ...

- إنها امرأة متقدمة في السن ثقيلة السمع .

- ولكنها ترى سيدتها نهارا وهي تروح وتجيء وتعمل ... ألا

تعتقد في وجود تواطؤ بين المرأتين ؟؟

- كلا.. كلا .. أنا واثق أن " فيكتورين" قد خدعت مثلي

بمظاهرها ودونها وبعثها .

- ولكن لا تنس أن " فيكتورين" هي التي اتصلت بزوجتك تليفونيا

بصد الإعلان الذي نشرته في الصحف ...

- إن "هرمانس" تقرأ الصحف .. ولا أدري مبلغ فهمها لما تقرأ .

ولكن من المؤكد أن الإعلان الذي نشرته الصحف لفت نظرها ... لأنه

يتضمن اسما يبدأ بحرف (الهاء) ... ولابد كذلك أنها علمت من

" فيكتورين" أننا نبحث عن طاهية . فطلبت إليها أن تتصل بنا

تليفونيا ..

- هذا كلام مغفول .. لقد أرادت القعدة أن تمهد لفريسة جديدة
تفتك بها بعد "هورتنس" .. ولكن ترى ما الطريقة الشيطانية التي
اعتادت أن تجتذب بها النساء إلى حقوْفهن ؟ وساد الصمت بين
الرجلين بعد ذلك ، وكان "رينين" في أشد حالات القلق خوفا من أن
يصل بعد فوات الوقت . راح يصيح بسائق السيارة :
- اسرع يا "كليمان" .. اسرع .

ووصلت السيارة أخيرا إلى (فيلا إفراي) وجعل مسيو "فانو"
يرشد السائق إلى طريق المستشفى . وأخيرا وقفت السيارة أمام
طائفة من المنازل متفرقة وسط حديقة مترامية الأطراف وهناك
أشار مسيو "فانو" إلى نافذة تطل على الحقول وقال بصوت أجش :
- ها هي ذي نافذة إحدى الغرفتين المنزلتين . وكان ارتفاع النافذة
عن الأرض لا يزيد على مترواحد . قال "رينين" :

- ولكني أرى بالنافذة قضباناً حديدية .. فكيف تستطيع زوجتك
الخروج والدخول من بين القضبان .

- لا بد أن في استطاعتها رفع قضيبين أو أكثر فاقترب "رينين" من
النافذة . وفحصها وقال :

- هذا صحيح . يوجد قضيبان متحركان يمكن إزالتها بسهولة .
قال ذلك .

وراح يعالج القضيبين حتى أزالهما ثم وثب إلى النافذة . ومنها
إلى الغرفة وتبعه مسيو "فانو" عن كثب .

وما كاد الرجلان يستقران داخل الغرفة حتى وقعت أبصارهما
في أحد أركانها على امرأتين إحداهما ممدة على وسادة كبيرة .
والأخرى جالسة بالقرب منها . هتف مسيو "فانو"
- ها هما ..

- ورأى "رينين" صاحبتة "هورتنس" ممدة على الوسادة . وقد
شد وثاقها . ورأى بيد المرأة المجنونة تلك المطرقة المخيفة التي

جعلت منها سلاحها في ارتكاب جرائمها . ورايتها المجنونة
فنهضت واقفة وراحت تحملق في فزع . فعد "رينين" يده في جيبه
وأخرج مسدسه بسرعة البرق .
هتف مسيو "فانو" متوسلا :

- استحلفك بالله الا تطلق عليها الرصاص .. فاجابه "رينين":
- إنني لا اتردد لحظة متى قضت الضرورة بإطلاق النار.. وما كاد
يفرغ من كلامه .. حتى رأى المجنونة تنظر اليه في فزع .. وتهم
بالانقضاض عليه . اطلق عليها النار في غير تردد .. قاصدا
إرهابها لا قتلها .. فمرت الرصاصة بالقرب منها .. ولكنها لم
تصبها .. وانتهاز فرصة الذعر الذي استولى عليها .. فهجم
عليها .. ولكنها ارسلت صرخة مدوية .. وفتحت الباب واندفعت
منه إلى الخارج . فتبعها "رينين" والمسدس لا يزال في يده استعدادا
للطوارئ وشعرت به المجنونة فراحت ترسل صيحات عالية اشفق
"رينين" ان تحدث ضجة في المستشفى وتؤدي إلى الفضيحة
التي يريد الجميع اجتنابها مهما كلفهم ذلك .. فانتقض على
المجنونة وحملها بين ساعديه . كما يحمل طفلا صغيرا .. ووضع
يده على فمها ليمنعها من الصراخ .. وعاد بها إلى حيث كان
زوجها . بيد أنها تمكنت من أصابع يده فعضتها عضه جعلته
يصرخ متألما أفلتها على الرغم منه فاندفعت نحو الخارج ..
وطاشت البقية الباقية من عقلها بتأثير الخوف والهلع .. وظلت
تتلفت خلفها وهي تعدو خوفا من مطاردتها . وكانت النتيجة أن
ارتطم رأسها بأحد الأبواب ارتطاما شديدا .. فسقطت على الأرض
لاتعي... ولم يعبا بها "رينين" وصاحبه . بل كان كل اهتمامهما موجها
إلى "هورفنس" .. فالتصق "رينين" إننه فوق صدرها واستمع إلى دقات
قلبها وتهلل وجهه بشراحين وجدما على قيد الحياة . كانت في حالة
إغماء شديد فأسرع إلى وثاقها فحلها . وراح يفرك صدغها بسرعة
حتى افاتت وفتحت عينيها . اجالت الطرف حولها ببطء . واستقرت

عينها على وجه "رينين" ومرت على شفيتها ابتسامة طفيفة .

غمغمت تقول :

- كنت انتظرك بفروغ صبرولم أقطع الأمل في النجاة واغمي عليها مرة أخرى ..

* * *

حملها "رينين" بين ساعديه . وهم بالخروج . ومروا في طريقه بمسيو "فانو" والعجوز "فكتورين" . كانا جاثيين بالقرب من المجنونة الأثمة . ثم ما لبث مسيو "فانو" أن نهض واقفا . وخلع قبعته . ولاحظ "رينين" ذلك فساله بصوت خافت:

- ماذا بها ؟؟

فاجاب (فانو) في شيء من الذعر والاسى :

- إنها ماتت . كانت الصدمة شديدة ولا بد أنها أحدثت نزيفا في المخ .

* * *

وقد استردت "هورتنس" صحتها بسرعة وانتهز البرنس "رينين" فرصة زيارته لها في اليوم التالي . وسالها في لباقة عن الظروف التي جمعت بينها وبين تلك المجنونة فاجابت .

- الأمر سهل غاية السهولة . فانت تعلم أن زوجي مصاب بضعف في قواد العقلية . وأنه يعالج في مستشفى (فيلا إفراي) وأنا أزوره خلسة من وقت إلى آخر .. وفي اليوم الذي تواعدنا فيه على اللقاء ... خطر لي أن أزوره .. فكتبت إليك رسالة اعتذر فيها عن عدم الحضور . ولكنني نسيت هذه الرسالة في حقيبتني .. ولم أبعث بها إليك .

وقد قصدت إلى (فيلا إفراي) وكنت قد قابلت هذه المرأة التاسعة قبل ذلك وتحدثت إليها . فلما رايتها في ذلك اليوم أشارت إلي من نافذتها وطلبت إلي أن أزورها . ولكنني لم أكن أدرك أن ذلك حتى انقضت علي . وكان هجومها فجائيا . فلم أتمكن من الدفاع

عن نفسي .. بل ولم أتمكن من الصباح والاستغاثه .. وقد شئت وثاقي
والقت بي في غرفة خالية . ومنعت عني الطعام .. ولكنها كانت
فيما عدا ذلك تعاملني بالحسنى . ثم ابتسمت وضغطت على يد
"رينين" . وغمغمت :

- ولكنني كنت واثقة من أنك ستخف إلى نجديتي .

* * *

الفرنس ... أرسين لوبين

غادر مفتش البوليس (بيشو) قطار (بنجون) عند محطة "جبريه" واستاجر في الحال مركبة قصد بها إلى مدينة (مازوريخ) وهي مدينة صغيرة .. ولكنها تعتبر من أقدم المدن في وسط فرنسا . وقد وقفت به المركبة أمام قصر "داليسكار" فخف الخدم لاستقباله وما هي إلا لحظة حتى أقبل عليه مسيو "جورج كازيفون" صاحب القصر وهو رجل متوسط القامة في نحو الأربعين من عمره مشهور بانه من أغنى أهل الناحية . وإن له صلة وثيقة بكثير من الساسة ... والعظماء .

* * *

كان قصر "داليسكار" العتيق يتألف من بناءين مستقلين .. يفصل بينهما جدار قديم متهدم يبلغ ارتفاعه ٥٠ إلى ٨٠ متر.... وكان لأضخم البناءين برج عظيم وشرفة واسعة بديعة تطل على الحديقة المترامية التي تتخلل أبنية القصر وتحيط به ... وتشرف على القناة العميقة التي تقسم هذه الحديقة إلى شطرين .. وقد طلب المفتش "بيشو" إلى "جورج كازيفون" أن يذهب به في الحال إلى المكان الذي لقي فيه "داليسكار" حتفه ... فقصد به مسيو "كازيفون" إلى القناة . وأشار إلى الصخرة التي وجبت عندها جثة الكونت الشاب . وقال إن الجثة وجدت في الساعة السادسة صباحاً منذ ستة أيام ممددة فوق الصخرة . وليس بها من إصابات أخرى غير جرح في الرأس من تأثير السقوط على تلك الصخرة .. ثم أشار إلى غصن محطم مدلى من شجرة مرتفعة باسقة .. وقال : إن ذلك الغصن يفسر الفاجعة ويوضح ما خفي منها . فالكونت الشاب تسلق الشجرة بغير شك .. ولكن الغصن لم يحتمل ثقله فتداعى ... وسقط الفتى في الماء .

ولكن رأسه ارتطم في تلك الصخرة .. فحدثت الوفاة .
سأله "بيشو" :

- ولكن ماذا كان الكونت الشاب يفعل فوق تلك الشجرة ؟؟
- اعتقد أنه أراد أن يلقي على الجناح الثاني من القصر نظرة
عامة شاملة . لأن ذلك الجناح هو مهد اسرة "داليسكار" .
وصمت مسيو كازيفون لحظة ثم عاد فاستطرد :

- ولعلك يا سيدي المفتش لست في حاجة إلى أن أقول لك إنني
الذي طلبت إلى إدارة الامن العام أن تبعث إلينا بأحد رجالها
لتحقيق هذا الحادث بصفة قاطعة . فالحادث وقع بالقضاء
والقبر كما تدل على ذلك جميع الشواهد .. ولكن السنة السوء
كثيرة .

وقد راجت في الأيام الأخيرة إشاعات سيئة مزعجة . فارت
أن أضع حدًا لها . بوضع الأمر بين أيدي رجال البوليس . ولذلك
أرجوك يا سيدي أن تقوم بمهمة التحقيق على الوجه الأكمل . وأن
تستجوب بصفة خاصة الأنسة "إليزابيث داليسكار" شقيقة
الشاب الذي لقي مصرعه فوق هذه الصخرة . ولم يضع "بيشو"
الوقت هباء . فدار بالقصر مرة أخرى . وتفقد غرفه ثم قصد إلى
المدينة حيث استجوب من رأى ضرورة استجوابهم . وزار القس .
وتناول طعام الغداء في المطعم . وعاد إلى القصر في الساعة
الثانية . وقصد إلى الجناح الذي تقيم به الأنسة "إليزابيث
داليسكار" وطلب أن تسمح بمقابلته . وذهبت به إحدى
الخادمت إلى غرفة الأنسة "داليسكار" .. فوجدها هناك تتحدث
مع شاب طويل القامة .. نحيفها .. لم يلق باله أول الأمر . إلى ذلك
الشاب بل قصد توا إلى الفتاة وقدم إليها نفسه . وقال لها باختصار
إنه مكلف بإجراء تحقيق في حادث وفاة الكونت "جان
داليسكار" . ولما فرغ "بيشو" من كلامه .. أجابته الفتاة :
- إنني علي استعداد للإجابة عن أسئلتك يا سيدي .. ولكن

دعني قبل كل شيء اقدم إليك هذا الصديق .. فهو مثلك على استعداد للتغلغل في هذه القضية حتى اعماقها .. وقدمت كلا من الرجلين إلى الآخر بقولها .

- البرنس "سيرج رينين" .. مسيو .. مسيو .. ما اسمك ياسيدي ؟ ! آه .. مسيو "بيشو" .. مفتش البوليس .. فرفع "بيشو" عينيه إلى وجه البرنس "رينين" .. وبسط إليه في ذات الوقت يده .. ولكن لم يكد يستقر بصره على وجه البرنس ويرى الابتسامة الطفيفة التي تلاعبت على أركان شفثيه .. حتى سقطت يده إلى جنبه . وراح يحرق نحو "رينين" بحدة .. بيد أن هذا تقدم بسرعة ولباقة .. وتناول يد "بيشو" وهزها بشدة وهو يقول :

- إنني سعيد بمقابلتك يا مسيو .. يا مسيو "بيشو" ... وفتح "بيشو" فمه ليتكلم .. وتحركت شفثاه ولكن لم يصدر منهما صوت .. ولا حظ في الحال أن "اليزابيث داليسكار" تنظر إليه كأنما ادشها جموده .. فغمغم قائلا :

- ألم ... ألم فتقابل في مكان أخيرا سيدي البرنس ؟؟

فاجاب "رينين" في ادب :

- لا اذكر أنه كان لي شرف مقابلتك ياسيدي .. وأنا سعيد بهذه الفرصة التي اتاحت لي التعرف بانشط مفتشي بوليس باريس .

قالت "اليزابيث" :

- لقد علمت صديقتي "هورتنس دانيل" بنبا الفاجعة التي نزلت بنا . فبعثت إلي بخطيبها البرنس "رينين" لتعزيتي ومعاونتي

في محنتي .. وهنا التفت "رينين" إلى "بيشو" وقال له :

- إنك تحسن صنعا ياسيدي إذا بدأت التحقيق باستجواب الأنسة "داليسكار" .. فإنها تكرت لي أشياء اعتقد أنها جد خطيرة .

قالت الفتاة :

- إنني في الحق كنت أوتر الصمت . ولكن إذا كان لابد من الكلام فإنني على استعداد لأن أتكلم .

- قل لي يا أنسة في أية ساعة رايت أخاك آخر مرة ؟

- إنني رايته لآخر مرة في الساعة العاشرة مساء . أي بعد العشاء وكان سعيدا طروباً كعادته .

- هل خرج من القصر ليلاً ؟

- كلا . بل خرج قبل الفجر بقليل . أي حوالي منتصف الساعة الرابعة صباحاً . وقد سمعت خاسمتنا العجوز وقع خطواته .

- هل كنت تعلمين أين ينوي الذهاب ؟

- إنه قال لي في المساء إن في نيته الخروج إلى المقصورة . وصيد السمك من القناة . والواقع أن صيد السمك كان أحب أنواع التسلية إليه .

- وإذن فانت لا تعلمين شيئاً عما حدث في المدة بين منتصف الساعة الرابعة . والوقت الذي اكتشفت فيه الجثة ؟

- كل ما أعلمه أنني سمعت طلقاً نارياً في الساعة السادسة والربع .

لقد قيل لي : إن كثيرين سمعوا هذا الطلق الناري . ولكن من المحتمل أن يكون أحد لصووض الصيد قد أطلق النار على أرنب بري من الأرانب التي تحفل بها هذه المنطقة .

- ذلك ماخطر لي ... ولكني مع ذلك شعرت بقلق شديد ... فنهضت من فراشي وارتديت ثيابي .

- ولاشك أن هذا الطلق الناري لم تكن له أية صلة بالحادث الذي وقع لأخيك .. بدليل أن الكشف الطبي لم يثبت وجود أثر رصاصة في الجثة ..

فترددت الفتاة ولاحظت "رينين" ترددها فقال لها .

- أجيبي .. أرجو أن تجيبي .

- مهما كان تقرير الطبيب الشرعي .. فانا واثقة أن الصلة

بين الرصاصة والحادث لاشك فيها .

- لماذا ؟

- لأنه لا يمكن أن يكون للحادث أي تفسير آخر .

- القضاء والقدر .

- كلا .. إن الحادث لم يقع بالقضاء والقدر .. فشيقي "جان"

كان بارعا في تسلق الأشجار .. ثم إنه كان رغم حداثة سنه على جانب عظيم من الرزانة .. ولم يحدث قط أنه عرض حياته للخطر بتسلق أحد الأغصان الضعيفة .

- ولكن الغصن المحطم لا يزال على حاله .

- ليس هناك ما يثبت أن الغصن تحطم تحت ثقله .

- إذن فانت ترين يا أنسة أن في الأمر جريمة ؟

- نعم .

- قيل لي أنك تتهمين بعضهم ..

- نعم .

فنظر "رينين" نحو "بيشو" بشيء من الخبث وقال :

- في هذه الحالة يتعين على المفتش "بيشو" أن يسالك عن الدليل الذي تقيمين عليه هذا الاتهام . ففكرت الفتاة لحظة .. وبدأ للرجلين أن هناك أشياء يؤلمها أن تذكرها .. بيد أنها حزمت رأيها آخر الأمر وقالت :

- سأتكلم بصراحة ياسيدي .. ولكي يكون حديثي واضحا .. يجب أن أعود إلى حادث وقع منذ عشرين سنة . فقد حدث في ذلك العهد أن اضاع ابي كل ثروته .. بسبب جريمة تزوير و اختلاس ارتكبها أحد مسجلي العقود . واضطر ابي في تلك الحالة إلى أن يلجأ إلى أحد الاغنياء المعروفين في هذه المدينة . فاقرضه هذا الغني مائتي ألف فرنك واشترط أن يصبح هذا القصر والأراضي المحيطة به ملكا له إذا لم يتم سداد المبلغ بعد خمسة أعوام .

- هل كان ذلك الثري والد مسيو " جورج كازيفون " ؟

- نعم ..

- هل كان يهيمه الاستيلاء على هذا القصر ؟؟

- نعم .. وقد حاول مرارا أن يبتاعه فلما توفي والدي بالسكتة المخية بعد أربعة اعوام واحد عشر شهرا من إبرام صفقة القرض.

أخطر ذلك الغني عمنا والوصي علينا . بأنه لم يبق امامنا غير شهر واحد لسداد المبلغ وإلتعين علينا إخلاء القصر .

ولم يكن والدي قد خلف مالا . فطردوني مع اخي "جان" من القصر وكان عمي يملك هذا البناء الصغير .. فأواني عنده .. ولكنه توفي بعد أشهر قلائل .. كما توفي على اثره والد مسيو "جورج كازيفون"

وكان "رينين" وبيشو" قد أصغيا بانتباه إلى هذه القصة . فقال
الاول :

- يخيّل إلي أن مسيو "بيشو" لا يرى صلة بين هذه القصة . وحادث مصرع "جان داليسكار" . نظرت "إليزابيث" إلى مفتش البوليس بمزيج من الدهشة والإحتقار واستطربت :

- أقمت مع اخي "جان" في هذا البناء الصغير الذي انشاه اسلافنا . وقد ألم "جان" أن يفلت زمام القصر من ايدينا .. وكان انه يزداد كلما كبر وترعرع . كان "جان" شديد الشغف بالعمل إلى جانب ولعه بالالعاب الرياضية . وكان ينتهز فرصة فراغه لفحص أوراق الأسرة وبقاترها . ومخلفات ابي واجدادي . وقد حدث انه عثر في احد الكتب على ورقة كان ابي يسجل عليها حساباته في الاعوام الاخيرة وقد وجد برفقة هذه الورقة وثيقة من احد المصارف .. تثبت أن ابي اخر سرا في ذلك المصرف مبلغ مائتي ألف فرنك .. فقصدت مع اخي إلى ذلك المصرف . ولكن قيل لنا هناك إن والدي سحب هذا المبلغ قبل اسبوع من وفاته . - وهو

بالضبط المبلغ الذي كان يتعين عليه ان يدفعه بعد ايام لسداد دينه .. وإنقاذ قصره واملاكه .

- اعتقد ذلك .

- لماذا لم يدفع دينه إذن ؟؟

- لا اعلم .

- اتعتقدين ان والدك وضع هذا المبلغ في مخبأ ما ؟

- نعم ..

- أين ؟؟

فقدمت الفتاة إلى "رينين" و"بيشو" دفترا صغيرا يتكون من عشرين صفحة قد سجلت عليها ارقام عديدة .. وأشارت إلى رسم في الصفحة الأخيرة من هذا الدفتر وقالت :

- الجواب عن هذا السؤال يجب ان يكون هنا .. وكان الرسم يمثل ثلاثة ارباع دائرة بداخلها نصف دائرة اصغر منها . وقد قسم نصف الدائرة بخطين وضع بينهما صليب .
سالها "رينين" .

- ما معنى هذا الرسم ؟؟

- إننا قضينا زمنا طويلا في معالجة هذا السر . إلى ان لاحظ اخي "جان" ان الرسم يمثل القصر الكبير . وان الخطين المتقاطعين يمثلان دهليزين من دهليز القصر .

فقال "رينين" :

- اما علامة الصليب فتمثل البرج الذي أخفى فيه الكونت داليسكار" الكبير مبلغ المائتي الف فرنك استعدادا لدفعها لدائنه في اليوم المقرر . اليس كذلك ؟

- بلى .

ففكر "رينين" لحظة . وراح يفحص ذلك الرسم بعناية . ثم

قال :

- هذا ممكن .. نعم . من المحتمل ان يكون والدك قد أخفى المبلغ

في هذا المكان .. ولكن الموت فاجاه قبل ان يتمكن من إخطار احد بالمكان الذي اخفى فيه المبلغ .

ولكن إذا صح هذا فإنه كان يكفي ان تخطري مسيو "جورج كازيفون" بالحقيقة .. وتطلبي إليه الترخيص لك بالصعود إلى برج قصره والبحث هناك عن اموال ابيك .

- ذلك ما فعلناه .. وعلى الرغم من ان العلاقات بيننا وبين مسيو كازيفون كانت فاترة ... فإنه استقبلنا بلطف . ولكن كيف كان يمكن الصعود إلى البرج بعد إذ تهدم السلم المؤدي إليه ؟
قال لنا مسيو "كازيفون" إن السلم انهار منذ مدة .. وان إعادة بنائه تكلفنا كثيرا ..

- هل احبك مسيو "كازيفون" . وطلب إليك ان تقتربي به ؟ ..
فاحمرت وجنتا الفتاة واجابت :

- نعم ولكنني رفضت . فنقم علينا بسبب هذا الرفض وساءت معاملته لنا . وحظر على اخي دخول ارضه وقصره والقيام باية محاولة للوصول إلى البرج . بيد ان اخي لم يقطع الأمل كان في نيته الحصول على المبلغ مهما كلفه ذلك لكي يبتاع بعض الاملاك التي فقدها ثم لكي يعد لي بائنة (بوطة) تساعدني على الزواج وقد قام بمحاولات كثيرة للوصول إلى البرج رغم رفض مسيو كازيفون . بيد ان فشله المتوالي لم يدخل الياس على نفسه .
وقد فكر اخي في صنع سلم من الحبال يشد إلى حافة البرج بواسطة خطاف قوي . واعد لهذا الغرض بالفعل قطعة من الحبل يربو طولها على الستين مترا .
فسألها البرنس "رينين" بقوله :

- هل تعتقدين بصفة نهائية ان اخاك قتل وهو يقوم بمحاولة جديدة للوصول إلى البرج حيث يعتقد بوجود مال ابيه ؟
- نعم والليل اننا لم نعثر على اثر لقطعة الحبل التي اعدتها المغامرة .

- وما الدليل على ان اخاك قتل ؟!

- الطلق الناري . وفي اعتقادي ان "جورج كازيفون" فاجا اخي وهو يحاول الوصول إلى برج القصر فاطلق عليه الرصاص .
فصاح "رينين" :

- اتعتقدين ان مسيو "كازيفون" من الرجال الذين يقدمون على ارتكاب الجرائم ؟

- نعم . اعتقد ذلك .. إنه رجل شديد الاندفاع .. تصيبه في بعض الاحيان نوبات تسوقه إلى شتى ضروب العنف والقسوة ..
- ولكن ما غرضه من إطلاق النار على اخيك ؟ اهو للاستلثار بالمبلغ الذي كان اخوك يعتقد بوجوده ؟

- لاعلم لي بذلك . ولا بالطريقة التي ارتكبت بها الجريمة ، لأن فحص الجثة لم يثبت وجود اي اثر من اثار العنف .
بيد ان ذلك لا يمنعني من القول بان ثقتي في وجهة نظري لاحد لها .

فقال "رينين" في لطف :

- ولكن يجب ان تعترفي بان اتهاماتك لا تقوم على غير الريبة .
والشعور الشخصي . لا على الوقائع والادلة الحسية . وهذا لا يكفي من الناحية القانونية ولا يبعد في هذه الحالة ان يقاضيك مسيو "كازيفون" بتهمة القذف في حقه . اليس كذلك يا مسيو "بيشو" ؟
فنهضت "إليزابيث" وهي تقول :

- لا يهمني ان يسوقني إلى القضاء .. إنني لم اقل ما قلت بقصد الانتقام لآخي المسكين الذي لن يرد عليه عقاب الجاني نعمة الحياة .. ولكني قلت ما اعتقد انه الحقيقة . وصمتت لحظة .. ثم عادت فاستطردت : - ولكن كن على يقين ياسيدي من أنه سيلزم الصمت . وانتهت المقابلة عند هذا .. فقال "رينين" وهو يستأنس في الانصراف :

- ارجو المعذرة يا أنسة إذا كنت قد اثقلت عليك بالأسئلة .. ولكن

اطمئني إلى أن مسيو "بيشو" سوف لا يدخر وسعا للوصول إلى الحقيقة .. إنني تشرفت اليوم بمعرفته لأول مرة .. ولكنني سمعت وقرأت عنه في الصحف الشيء الكثير .

وحياها وانصرف ... وحذا "بيشو" حذوه .. ولحق به عند الباب الخارجي .. وناداه بقوله :

- سيدي .

- نعم .

- لي سؤال أحب أن أقيه عليك .. وأرجو المعذرة عن إلحاحي هل أنت واثق أننا لم نلتق قبلا ؟؟

فابتسم البرنس "رينين" وأجاب :

- إذا كنت واثقا من أننا تقابلنا قبل الآن .. كان ذلك أصبح لأنني

في الواقع مصاب بضعف الذاكرة .. ولكن حدثني يا مسيو "بيشو" .. ألا ترى معي أن في أقوال الأنسة "داليسكار" ما يصلح أساسا للبحث والاستقصاء ؟ إنني أشعرون بذاك لك ذلك مستحيلا أن شقيقتها استطاع بطريقة ما أن يصل إلى البرج في تلك الليلة . أنا واثق من ذلك .. ولكن المسألة الآن . هي كيف استطاع هذا الشاب وبأية معجزة تمكن خلال ساعتين من أن يجد وسيلة للصعود إلى البرج فينفلذ خطته . ويصعد . ثم يهبط .. ويهوي في الغضاء .. بتأثير طلق ناري لم يصبه ؟

وصمت البرنس لحظة . ثم عاد يغمغم كأنه يحدث نفسه :

- نعم .. طلق ناري لم يصبه .. وتقابل "بيشو" و"رينين" في

مطعم القرية حيث تناولا طعام العشاء منفردين وتقابلا في هذا المطعم في مواقيت الطعام في اليومين التاليين .

وكان "بيشو" يقضي وقته في عمل التحريات والاستعلامات .. أما "رينين" فراح يطوف بالقصر وحديقته وبالبنايا الصغير الذي تقيم فيه الأنسة "إليزابيث داليسكار" وإذا أدركه الملل عمد إلى صيد السمك أو إلى التدخين بمعزل عن سائر الناس . وفي اليوم

الثالث قصد "رينين" إلى مدينة "جيرية" حيث توجد المحطة. وقد ذهب إلى هناك بهيئة الرجل الذي يعرف غرضه حق المعرفة . وفي اليوم الرابع تقابل مع "بيشو" في المطعم فقال له هذا :

- لقد فرغت من التحقيق . فاجاب "رينين" :

- وأنا كذلك قد جمعت .. طائفة من المعلومات تهم الأنسة إليزابيث " التي هي من أقدم اصدقاء خطيبتي . ومن زميلاتها في عهد الدراسة .

- إن في نيتي أن أعود إلى باريس الليلة .

- وأنا كذلك .. وإذا شئت فإنني اصطحبك معي في سيارتي .

- حسنا ولكنني على موعد مع مسيو "جورج كازيفون" بعد ثلاثة ارباع الساعة.

- إذن فسالحق بك هناك . لأنني سئمت التجوال في هذه المنطقة .

وافترق الاثنان . وقصد "رينين" لتوه إلى القصر ، وقام بجولة في الحديقة ثم بعث إلى "جورج كازيفون" ببطاقة عليها هذه الكلمات :

" سيرج رينين "

مساعد المفتش " بيشو "

وقد كتب البرنس " رينين " السطر الثاني بخطه فاستقبله كازيفون " في الحال في غرفة واسعة تزين جدرانها رؤوس الوعول التي اصطادها رب القصر ، وطائفة كبيرة من بنائق الصيد . وبعض الشهادات والجوائز التي تشهد لـ " كازيفون " بالبراعة في الصيد وإصابة الهدف .

قال " رينين " محدثا صاحب القصر :

- لقد تواعدت مع المفتش " بيشو " على اللقاء عندك .. إننا قمنا

معا بالتحقيق وسنرحل معا . فسأله " كازيفون " :

- وما رأي المفتش " بيشو " في القضية ؟

- رايه قاطع في أن الحادث وقع بالقضاء والقدر .. أما الإشاعات الأخرى فليست لها أية قيمة .

واقوال الأنسة " إليزابيث داليسكار ؟

- من رأي المفتش " بيشو " أن هذه الأنسة لاتزال متاثرة

بalfاجعة التي نزلت بها . وأن أقوالها لاتقوم على أساس . ولاتنهض كدليل مادي أمام التحقيق الدقيق .

- وهل هذا هو رأيك كذلك يا مسيو " رينين " ؟

- نعم ياسيدي . وأنا في الواقع لست إلماسعدا متواضعا للمفتش

" بيشو " . ورأيي لايمكن أن يختلف عن رايه .

واخذ " رينين " يتأمل مجموعة الأسلحة المعروضة على جدران الغرفة فقال " كازيفون " :

- إنها مجموعة بديعة .. اليس كذلك ؟

- بلى .

- هل انت من هواة جمع الأسلحة ؟

- نعم .. وأنا شديد الإعجاب بهذه المجموعة وبهذه الشهادات

والجوائز التي تثبت براعتك في إصابة الهدف . لقد اكدي القوم
في (جيرييه) أنك أبرع من يصيب الهدف في هذه المنطقة كلها .

- هل يتكلمون في (جيرييه) عن الحادث ؟

- عن حادث مصرع الكونت "جان داليسكار" ؟ كلا .. لم اسمع احدا
يتحدث في هذا . اما براعتك في إصابة الهدف فإنها مضرب
الامثال في كل مكان .

وتناول بنديقية .. وفحصها .. فقال له "كازيفون" :

- كن على حذر . فهذه بنديقية ميدان . وبها رصاصتان

- وفيم تستخدمهما ؟ لمقاومة الاشقياء واللصوص ؟

- بل لمطاردة لصوص الصيد .

- يا لله ! هل تجد الشجاعة على قتل احد هؤلاء اللصوص يامسيو

كازيفون ؟ فابتسم الرجل واجاب :

- إنني اقنع بإطلاق رصاصة على ساق اللص فاعجزه عن

الحركة بقية حياته !

- وهل تطلق الرصاص من هذه النافذة ؟ قال ذلك وصوب

فوهة البنديقية من النافذة ثم ما لبث أن . هتف :

- انظر . إن الإنسان يستطيع أن يرى من هنا بيت الأنسة

إليزابيث داليسكار " رغم الاشجار الكثيفة المتعانقة التي تحجبه .

- إنك لا ترى من هذا المنزل شيئا كثيرا .

- هذا صحيح . اترى تلك الزهرة الصفراء الواقعة عند سور

الحديقة ؟

ورفع البنديقية إلى كتفه في الحال . واطلقها بسرعة . فاصابت

القذيفة الزهرة الصفراء واسقطتها .

فابتسم "كازيفون" ولكنه قال لنفسه : ترى ماذا يبغي هذا

الفضولي من إحداث كل هذه الضجة .

سأله "رينين" :

- إن خدم القصر يقيمون في جناح متطرف اليس كذلك ؟ إن لا

يسمعون مايقع هنا ... يا لله ! .. إنني شديد الأسف لأنني أطلقت
هذه الرصاصة فهي تذكر الأنسة "داليسكار" بفجيعتها في أخيها
فابتسم "كازيفون" وقال :

- الا تزال الأنسة "إليزابيث" تصر على أن هناك صلة بين الطلق
الناري وحادث أخيها ؟
- بلى .

- ولكن .. بم تثبت وجود هذه الصلة ؟
- كما اثبتت ذلك بنفسي الآن . فالواقع أنه إذا أراد شخص أن
يصل إلى برج هذا القصر بواسطة حبل أو سلم من الحبال ممتد
بين قمة البرج . وغصن إحدى اشجار الحديقة . فإن في مقبور
الإنسان أن يقتل هذا الشخص برصاصة يطلقها عليه من نافذة
هذه الغرفة .

- ولكن شقيقها مات بسبب سقوطه . لا برصاصة بندقية .
- ربما كان سقوطه ناجما عن انقطاع الحبل مثلا برصاصة
بندقية فنظر "كازيفون" إلى "رينين" متجهما . وقال :
- لم اكن اعلم أن الأنسة "داليسكار" توجه إليّ التهمة بهذه
الصراحة والدقة .
- نعم .. إن الاتهام صريح .

وهنا شعر "كازيفون" أن الحديث من جانب "رينين" قد اتخذ
صيغة الهجوم والإحراج وأنه أصبح لزاما عليه أن يدافع عن
نفسه . اعتدل في مكانه فجأة وسال :

- وماذا تقول الأنسة في تعليل محاولة أخيها الدخول إلى برج
القصر ؟

- تقول في تعليل ذلك إنه أراد الاستيلاء على مبلغ مالي
الف فرنك كان والدهما قد أخفاه في برج القصر . كما يدل على ذلك
الرسم التخطيطي الذي حملاه إليك .. عندما طلبا منك أن تسمح
لهما بالبحث في البرج .

فقلب "كازيفون" شفته باحتقار وقال :

- لقد كنت اعتقد منذ البداية ان حكاية هذا المبلغ هي حديث خرافة . لانه إذا صح وكان ، والدهما يملك هذا المبلغ . فلماذا عمد إلى إخفائه بدلا من ان يدفعه إلى ابي . ويتخلص بذلك من ديونه ؟

- هذا الاعتراض وجيه وجدير بالاعتبار . اللهم إلا إذا افترضنا ان المبلغ المخبوء لم يكن نقدا ..
- وماذا كان إذن ؟

- هذا ما اجهله . إن المسألة لا تتعدى مجرد الظن والتخمين .
فهز "جورج كازيفون" كتفيه وقال :

- كن على يقين من ان " إليزابيث " و " جان داليسكار " قد قلبا جميع النظريات والفروض على وجوهها .

- ومن يدري ؟ اصف إلى ذلك انهما ليسا من رجال البوليس المحترفين مثلي .

- مهما كنت محترفا . فإنك لا تستطيع ان تخلق شيئا من لا شيء .

- بل إن الإنسان يستطيع ذلك في بعض الاحيان . وبهذه المناسبة هل تعرف مسيو (كريوم) متعهد بيع الصحف في محطة (جيره) والذي كان في احد الايام موظف حسابات في مصانعكم ؟

- بالتأكيد اعرفه . حق المعرفة . وهو رجل رضي الخلق .
فقال "رينين" :

- إن هذا الرجل يزعم ان والد " إليزابيث " و " جان داليسكار " زاراكم في يوم ثبت انه اليوم التالي للتاريخ الذي سحب فيه مبلغ المائتي الف فرنك من البنك .

- وهذا معناه ؟

- ألا يدعو هذا إلى الظن بان مبلغ المائتي الف فرنك دفع إلى

والدك خلال هذه الزيارة . وان الذي خبىء في برج القصر هو
إيصال استلام المبلغ . لا المبلغ ذاته ؟ فوثب " كازيفون " من مكانه
وصاح :

- ولكن هل تقدر خطورة هذا القول ياسيدي ؟ الا تشعر بانه
يتضمن مساسا بكرامة ابي وتلطيفا لذكراه ؟
- وكيف ذلك ؟

- إذا كان ابي قد قبض هذا المبلغ فإنه ماكان يتردد قطعاً في إعلان
ذلك بكل إخلاص ونزاهة .

- ولماذا ؟ إنه لم يكن ملزماً بإعلان استرداده مبلغاً كهذا اقرضه
بصفة خاصة . وشخصية بحتة .

فضرب " جورج كازيفون " الطاولة التي امامه بقبضة يده
وصاح :

- إذا كان ابي قد استرد نقوده فمن المستحيل ان يطالب بها
مرة أخرى بعد وفاة مدينه .. فقال " رينين " ببساطة :
- ولكنه فعل ذلك للأسف الشديد .

- هذا كلام حمق وجنون ياسيدي . يجب ان تحكم العقل
والمنطق قبل ان تتورط في مثل هذه التصريحات الخطيرة . لأننا
إذا فرضنا ان ابي كان من فساد الذمة بحيث تطوع له نفسه ان
يطالب بمبلغ اخذه فعلاً . - وهو ما انفيه بكل قوة - فإنه كان
يجب ان يخشى ظهور إيصال الاستلام ليس كذلك ؟
فقال " رينين " بقلّة اكتراث :

- ربما كان قد اتصل به بطريقة ما ان احدا من ورثة المدين
لا يعلم بان المبلغ دفع . وبان هناك إيصالاً بالاستلام .. وقد قيل
لي إنه كان شغوفا بهذا القصر . ويود الاستيلاء عليه مهما
كلفه ذلك . فلا يبعد إذن ان يكون طمعه في هذا القصر قد اغراه
بما فعل .

وشعر " جورج كازيفون " ان محدثه يتهم والده صراحة

بالنصب والاحتياال . وخراب الذمة . واكل اموال اليتامى .. فامتقع لونه . ولوح بقبضة يده في وجه ذلك الموظف الصغير الحقير الذي راح يلوث سمعة ابيه بهذه السهولة والقحة . وصرخ :
- انني احظر عليك التحدث بمثل هذا الكلام . إنك ترسل الكلام على عواهنه دون ان تميز معناه .

- ارسل الكلام على عواهنه ؟ كلا اؤكد . لك انني ازن كل كلمة قبل ان انطق بها . وإنني لم انطق حتى الآن بغير الصدق فصاح " كازيفون " :- هذا كذب وبهتان .. وانت لاتملك اي دليل على صحة ما تقول وإذا كنت تعتقد ان الدليل على جرم ابي موجود في البرج .. فهلم بنا إليه في التو واللحظة لنقطع الشك باليقين .

- لقد صعد " جان داليسكار " إلى قمة البرج .
- وهذا كذب .. فانا اتحدى اي كائن يزعم ان في مكانه الوصول في ساعتين إلى قمة برج يربو ارتفاعه على الثلاثين مترا .. دون الاستعانة بسلم البرج ذاته ..
فقال رينين بهدوء :

- لقد فعل " جان داليسكار " ذلك . فضاق " كازيفون " ذرعاً بذلك الرجل العنيد وصاح :

- وكيف فعل ذلك ؟ وباية واسطة استطاع الوصول إلى قمة البرج ؟ وباية معجزة استطاع تسلق جدران لا يمكن لاحد ان يتسلقها .

- إنه تسلق البرج بواسطة حبل .
- فاغرق " كازيفون " في الضحك وصاح :
- تسلق البرج بواسطة حبل ! هذا هو الجنون بعينه لقد ضبطته في الواقع اكثر من مرة وهو يحاول ان يقذف إلى قمة البرج بخطاف مثبت في حبل . على امل ان يثبت الخطاف بقمته ويتمكن بذلك من الصعود .. ولكن كان دون ذلك خرط القتاد .

مسكين تلك الغلام التعس .. لقد استعصى عليه ان يفهم انه وضع خطة جنونية يستحيل تنفيذها .. فما بالك إذن في تنفيذها في ساعتين ؟

ويعد .. فلو انه تمكن من صعود البرج بواسطة الحبل كما تزعم لوجدنا هذا الحبل مثبتا بحافة البرج . او ملقى على الأرض . فقال "رينين" بهدوئه العجيب الذي كان يزيد الرجل غيظا وحنقا:

- إنه لم يستخدم حبلًا بالطريقة التي تتصورها . فضحك "كازيفون" ضحكة عصبية وسال :

- كيف استخدمه إذن ؟ . هل امتطاه وامره ان يصعد به إلى قمة البرج فصعد . تلك إذن إحدى المعجزات ؟ . قال "رينين" :

- قد يزداد شعورك بان في الأمر معجزة إذا قلت لك إنه لم يصعد إلى قمة البرج صعودا . بل هبط عليه هبوطا من أعلى إلى أسفل . فقال "كازيفون" وهو لا يزال يضحك ملء شقيقه :

- إذن فقد قنفت به العناية الإلهية من حائق فسقط فوق البرج .

- إن المصادفات تخلق المعجزات في بعض الأحيان يا مسيو

كازيفون " فلا معنى إذن للهزء والسخرية .

- لا أفهم ماتعني .. ولا أعلم أن هناك أية طريقة للوصول إلى البرج من أعلى ..

- بل توجد طريقة واحدة على الأقل ياسيدي .. توجد المناطق

ولعلك تتذكر أن أحد المناطق الطليقة قد حلق فوق هذه المنطقة في

الليلة السابقة لليوم الذي لقي فيه الكونت الشاب مصرعه . وقد

سار هذا المنطاد من الشمال إلى الجنوب . والقي طائفة من

الحقائب المليئة بالرمال على بعد خمسة عشر كيلومترا شمال

(جيرييه) .. فلماذا لا نستنتج أن هذا المنطاد قد ادى كذلك -

باتفاق سابق - حبلًا طويلا ، وأن طرف هذا الحبل قد علق

بغصن إحدى الأشجار وأن الكونت "جان" قد اضطر إلى تحطيم
غصن الشجرة ليخلص طرف الحبل . ثم تعلق بهذا الحبل
وارتفع به المنطاد حتى أوصله إلى قمة البرج ؟

سنقول إنها مغامرة شاقة محفوفة بالأخطار ، ولكن شابا عرف
بميوهه الرياضية وجراته كالكونت "جان داليسكار" ، وله من
التصميم لإنفاذ غرضه والوصول إلى غايته ما كان لهذا الكونت ، إلا
يحفل بالخطر الذي يستهدف له من جراء هذه المغامرة الخطيرة .
وهنا انقلببت سحنة "كازيفون" وغمغم :

- ثم ..

- ثم حدث أن شخصا كان يطل من هذه النافذة فرأى الشاب
التعس فقتله لساعته .

- أه .. بهذا تفسر الحادث إذن ؟

فلم يجب "رينين" بل استطرد :

- ثم أسرع الشخص الذي أطلق الرصاص فبحث عن الجثة
ووجدها وفتش ثيابها باحثا عن إيصال استلام المبلغ وبعدئذ
تناول قطعة الحبل وأخفاها في مكان ما . أو بالأحرى القاهها في
أحد الآبار .

كانت التهمة صريحة حاسمة .. وقد أراد "كازيفون" أن

يتخلص منها فثار فجأة ثورة الرجل المهان . وصاح :

- كفى .. كفى .. لا أريد أن أسمع هذه النظريات الخرقاء التي لا

تقوم على أساس .. فأغرب عن وجهي يا هذا . انهب من هذا المكان

وساقول للمفتش "بيشو" إنني طربتك .. كما يجب أن أطرده أي

دعي نصاب مثلك يريد أن يحتال بوسائل التهديد .

فقال "رينين" وهو يضحك :

- لو أنني أردت إرهابك . والاحتياال عليك لما بدأت باستعراض

الأيلة .

فصاح "كازيفون" في غضب :

- الألة ؟ أين هي الألة ؟ وما هذه الألة ؟ كل املك ثروة وكلام اجوف وإلا فابرز قليلا واحد . ابرز لي اي دليل يدعم اقوالك الخرقاء . هناك دليل واحد يفحمني ويثبت التهم التي توجهها إليّ وإلى ابي .. فابرز هذا الدليل إذا لم تكن مداعبا ثقيل الدعابة .
- وما هذا الدليل ؟

- إيصال الاستلام .. الإيصال الذي وقع عليه ابي بإمضائه .
- ها هو ذا الإيصال .

وأخرج "رينين" من جيبه ورقة صفراء مطوية فبسطها بين أصابعه واستطرد :

- ليس هذا خط والدك . ليس هذا توقيعك ؟ ثم اصغ إلي اسمع مضمونه - وراح يقرأ في الإيصال ما يلي :
" انا الموقع علي هذا " اوجست كازيفون " اعترف بانني تسلمت من الكونت "داليسكار" مبلغ مائتي الف فرنك وهو المبلغ الذي اقترضته إياه في تاريخ سابق . بضمان قصره وممتلكاته وليس لي الآن أي حق في القصر والممتلكات " واستطرد البرنس "رينين" قائلا :

- وتاريخ هذا الصك هو ذات التاريخ الذي ذكره مسيو جريوم " وما هو ذا التوقيع ، فلا وجه إذن للطعن في صحة هذه الوثيقة ، ولا بد أنك كنت تعلم بامر هذه الوثيقة ياسيدي ، إما لأن والدك اعترف لك بالحقيقة ، وإما لأنك وقعت على هذه الحقيقة ضمن الأوراق والوثائق الخاصة التي خلفها أبوك .
فاكتشاف هذه الوثيقة يثبت على والدك جشعه وفساد ذمته ويحتم عليك الجلاء عن هذا القصر الذي اغتصبته اغتصابا .
كما اغتصبه أبوك من قبل . لقد أقدم أبوك على الاحتيال طمعا في هذا القصر واقمت أنت على القتل طمعا في الاحتفاظ به .
- هذا كذب .. لو كنت انا القاتل لاستوليت على هذا الصك .
- إنك فقتشت ثياب الشاب التعس بعد مصرعه . ولكنك لم تعثر

على الصك . لأن الكونت " داليسكار " كان شديد الحرص والحذر .
فشد الصك إلى حجر صغير . وقذف به من أعلى البرج . بامل
البحث عنه والتقاطه بعد أن يهبط .. ولكنه قتل وهو يهبط
ووجدت أنا الصك مشبوا إلى الحجر على شاطئ القناة . وقبل
أن يفرغ " رينين " من كلامه .. أتى " كازيفون " بحركة فجائية
محاولا اختطاف الصك من يد " رينين " ، ولكن هذا شعر بغرضه .
وترجع إلى الوراء في الوقت المناسب .
وساد على الأثر صمت عميق . وكان الرجلان في خلاله يتبادلان
نظرات :

- هذه الحركة التي بدت منك هي اعتراف صريح . وليل على
أن الأنسة " إليزابيث داليسكار " كانت على حق ، حين قالت إنك
رجل ذو نزعات عنيفة .. ولا شك أن إحدى هذه النزعات هي التي
دفعتك منذ أيام إلى إطلاق الرصاص على ذلك الشاب التعس .
والآن .. عليك أن تضبط نفسك وتسيطر على حواسك .. إنني أسمع
طرقا بالباب .. وأكبر الظن أن القادم هو " بيشو " .. مفتش
البوليس ومن المؤكد أن مصلحتك تقتضي ألا يعلم هذا الرجل
الحقيقة وساد الصمت مرة أخرى . وفجأة .. هتف " كازيفون " بلهجة
المحموم :

- كم؟؟ كم تطلب ثمننا لهذا الصك ؟
- إنه ليس معروضا للبيع .
- هل تريد الاحتفاظ به ؟
- بل سارده إليك بشروط ؟
- وما هي شروطك ؟
- سأطرحها عليك بحضور المفتش " بيشو " .
- وإذا رفضت قبولها ؟؟
- أوضح للمفتش " بيشو " كل شيء .
- إن مزاعمك لا قيمة لها .

- سوف ترى .

وشعر "كازيفون" في الحال انه امام خصم عنيد فاطرق براسه وسلم لخصمه بالغلبة .

واقبل "بيشو" في هذه اللحظة . وانهشه ان يرى "رينين" في القصر . سال نفسه ترى بماذا كان الرجلان يتحدثان ؟ ونظر إلى "رينين" في شيء من الريبة ، ثم شد على يد "كازيفون" وقال له :

- لقد وعدت بان انبثك قبل رحيلي بنتيجة التحقيق الذي قمت به .. وهانذا ابر بو عدي واقول لك ان رأيي في الحادث لا يختلف عن الراي الذي كان معروفا حتى الآن .. وهو ان الكونت الشاب لقي مصرعه قضاء وقدر .
اما الإشاعات التي تزيعها الأنسة "داليسكار" فإنها لا اساس لها من الصحة ...

فهز "رينين" راسه موافقا :

- هذا صحيح .. وذلك هو رأيي شخصيا وقد افصحت عنه لمسيو كازيفون . ولكن الرجل كان على جانب عظيم من سعة الصدر . فابى إلا ان يقابل الوشايات والإشاعات الكاذبة بالكرم . وقرر ان يقطع السنة السوء بالتنازل للآنسة "داليسكار" عن هذا القصر . وعن جميع ممتلكات ذويها .

فدهش "بيشو" وغمغم : يا لله ! اهذا .. ممكن .. ؟

فقال "رينين" :

- ولم لا ؟ فضلا عن ذلك فإن هذه الحواث ، وهذه الإشاعات قد اوغرت صدر مسيو "كازيفون" على اهل هذه الناحية .. ولذلك قرر ان يبرحها إلى الابد . وسيبتاع قصرا فخما بالقرب من المصانع الكبيرة التي يمتلكها في (جيره) ..

وعندما جئت الآن لزيارة مسيو "كازيفون" وتوديعه بمناسبة سفره ، وجدته بسبيل كتابة صك التنازل . وقد عبر لي عن عزمه

على أن يهب الأنسة "داليسكار" فضلا عن ذلك كله تحويلا
ماليا بمبلغ مائتي ألف فرنك .. لتكون لها بمثابة بائنة (بوتة).
ليس كذلك يامسيو كازيفون؟ فلم يتردد "كازيفون" لحظة واجاب
على الفور . وعلى شفثيه ابتسامة مصطنعة :
- بلى . بلى .

وجلس امام مكتبه . وكتب صيغة الهبة والتحويل المالي
وقدمهما إلى "رينين" وهو يقول :

- إليك التحويل وهو يدفع لحامله . وإليك صك التنازل .
وساصدر اوامري إلى مسجل العقود لاتخاذ الإجراءات اللازمة .
فتناول "رينين" الوثيقتين .. ووضعهما في غلاف . والصق الغلاف ..
وقدمه إلى "بيشو" وهو يقول :

- خذ ياسيدي . اذهب بهذا إلى الأنسة "داليسكار" وانا واثق
انها ستقدر كرم مسيو "كازيفون" وسخاءه احبيك يا مسيو
كازيفون اطيع تحية . واكبر فيك السخاء وسعة الصدر . وخرج
وتبعه "بيشو" وهو لا يكاد يفهم شيئا مما وقع تحت بصره
وسمعه ولما اصبحا في الحديقة .. التفت "بيشو" إلى "رينين"
وساله :

- ماذا ؟ هل هو الذي اطلق الرصاص ؟ هل اعترف بحريمته؟
- لا تتعب نفسك في التفكير في هذا الحادث يا مسيو
بيشو . لقد سويت المسألة على خير الوجوه وبما يرضي الطرفين .
فلاتلق علي شيئا من الأسئلة . لانني لن اجيبك عن شيء .
انهب بهذا الغلاف إلى الأنسة "داليسكار" ثم الحق بي في
المطعم .

ولحق به "بيشو" بعد ربع الساعة وانباه بان الأنسة "داليسكار"
قبلت هبة القصر ولكنها رفضت التحويل المالي . بل ومزقته
شر ممزق . وداست قطعه بقدميها . ووصل "رينين" و"بيشو" إلى
باريس في سيارة الاول . وحاول الثاني عبثا أن يحمل "رينين"

على الكلام . بلغا باريس في الساعة التاسعة ودعا "رينين" "بيشو" لتناول طعام العشاء معه في احد المطاعم ولكنهما ما كادا يدخلان المطعم حتى استاذن "بيشو" صاحبه في أن يتصل تليفونيا بمسيو "كازيفون" . لينبئه بأن الأنسة "داليسكار" قد مزقت التحويل المالي . وقصد "بيشو" إلى حيث يوجد التليفون . ولكنه بدلا من أن يتصل بمسيو "كازيفون" طلب هو الاتصال بمسيو بينيه "مدير الأمن العام :

- الو. الو. مسيو "بينيه" .. انا "بيشو" .. يتناول طعام العشاء معي الآن في مطعم (تروكاديرو) رجل اعتقد انه ارسين..لوبيين" ارسلوا قوة في الحال لمحاصرة المطعم .. الو .

* * *

وعاد "بيشو" إلى مائدة الطعام وهو يفرك كفيه بارتياح . ولكنه لم يكد يرسل بصره إلى حيث كان "رينين" جالسا حتى جمد في مكانه .. ذلك انه لم يجبله اثرا . أجال الطرف حوله في أنحاء المطعم ولكن بغير جدوى... فقد اختفى البرنس "رينين" .. كأنما انشقت الأرض وابتلعتة . ووقع بصره فوق مائدة الطعام على قصاصة من الورق فتناولها بلهفة .. وقرا فيها ما يلي .

" لا تتعب نفسك يا عزيزي "بيشو" .. ولا تزعج رجال البوليس .. اما التحويل المالي الذي مزقته الأنسة "داليسكار" فإنه لا قيمة له .. لانه تحويل قديم استبدلته بالتحويل الجديد لأنني كنت أعلم سلفا أن الأنسة "داليسكار" ستمزقه احتقارا لصاحبه . "

" اما التحويل الجديد - وهو يصرف لحامله - فلا بد أنك تعرف الآن مقره .

صديقك البرنس .. " ارسين لوبيين "

تمت بحمد الله